مجلة - إسلامية - ثقافية - شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

التوحيد

العدد ٤٠٩ - السنة الخامسة والثلاثون - المحرم ١٤٢٧هـ - الثمن ١٥٠ قرشا

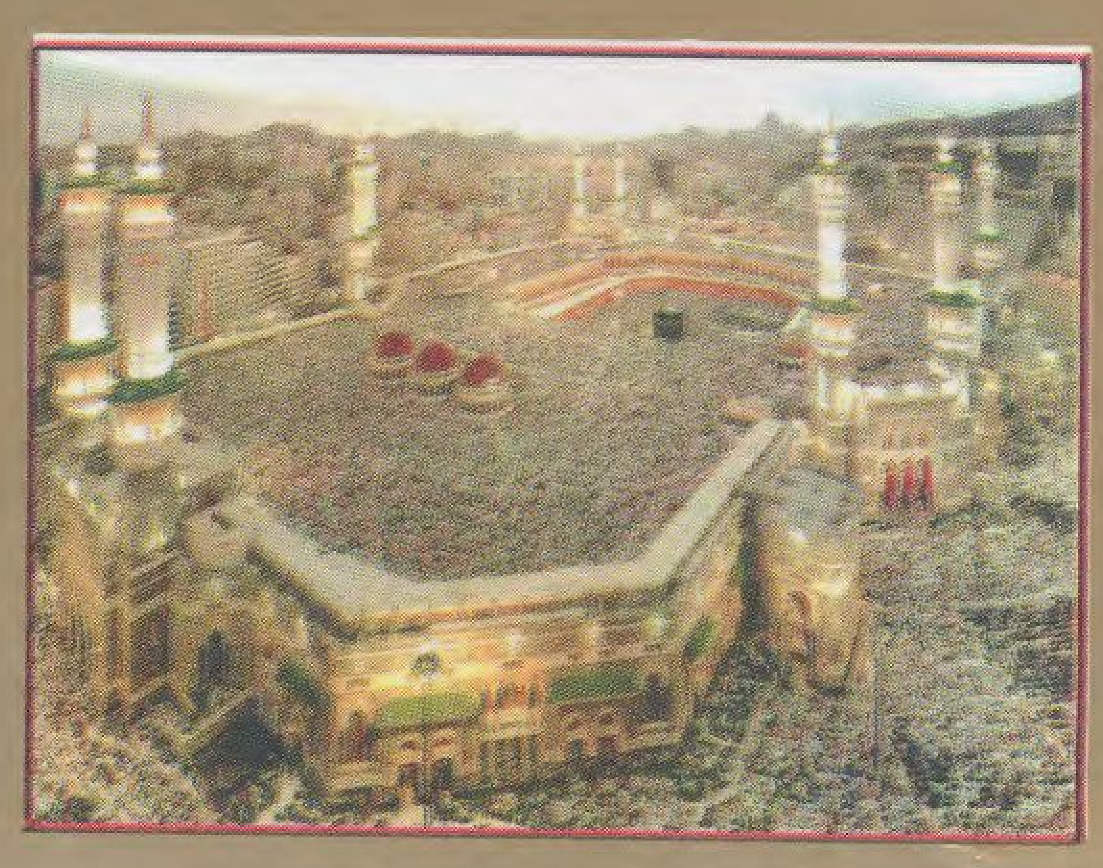
نتيجة مسابقة القرآن الكريم

عام جديد والأدب المفقود مع الله

١٤٢٧

لا إله إلا الله محمد رسول الله

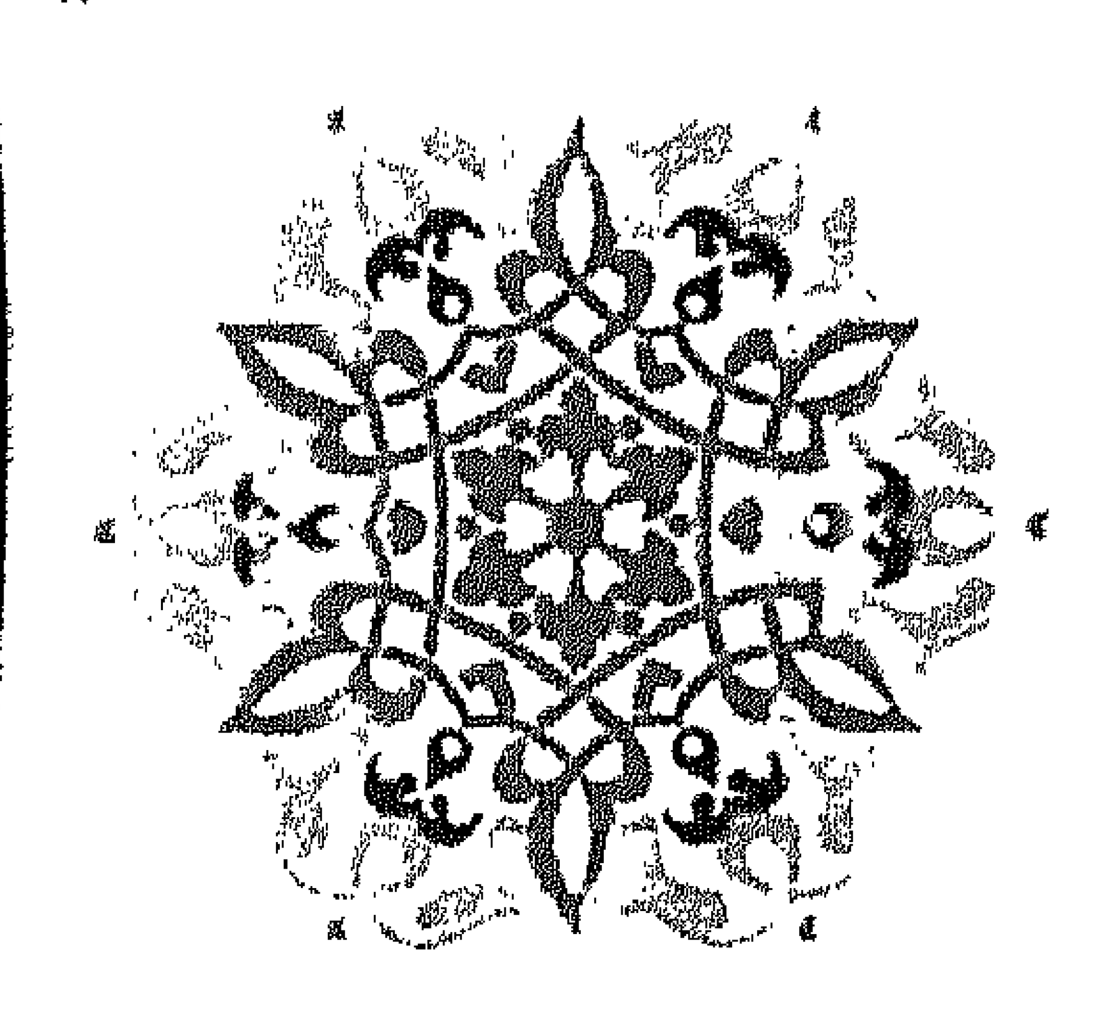




بسم الله الرحمن الرحيم

• صاحبة الامتياز •
جماعة أنصار السنة المحمدية

السنة الخامسة والثلاثون
العدد ٤٠٩ - محرم ١٤٢٧هـ



السلام عليكم

الفقه والحكمة عند أهل الإسلام

كتب قيصر إلى معاوية رضي الله عنه: أخبرني عمن لا قبلة له، وعمن لا أب له، وعمن لا عشيرة له، وعمن سار به قبره، وعن ثلاثة أشياء لم تُخلق في رحم، وعن شيء، ونصف شيء، ولا شيء، وابعث إليَّ في هذه القارورة ببزر كل شيء .

فبعث معاوية رضي الله عنه بالكتاب والقارورة إلى ابن عباس رضي الله عنهما فقال: أما من لا قبلة له: فالكعبة، وأما من لا أب له: فعيسى، وأما من لا عشيرة له: فآدم، وأما من سار به قبره: فيونس، وأما ثلاثة أشياء لم تُخلق في رَحم فكبش إبراهيم، وناقة ثمود، وحية موسى، وأما شيءٌ فالرجل له عقلٌ يعمل بعقله، وأما نصف شيء فالرجل ليس له عقل ويعمل برأي ذوي العقول، وأما لا شيء؛ فالذي ليس له عقل يعمل به ولا يستعين بعقل غيره، وملأ القارورة ماءً وقال: هذا بزر كل شيء. ثم بعث إلى معاوية فبعث به معاوية إلى قيصر؛ فلما وصل إليه الكتاب والقارورة قال: ما خرج هذا إلا من أهل بيت النبوة.

فما الذي جمعه شباب زماننا من العلم؟!

التحرير

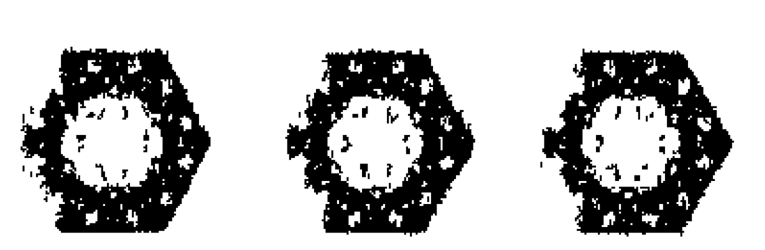
التحرير
٨ شارع قوله - عابدين القاهرة
ت: ٣٩٣٦٥١٧٠ - فاكس: ٣٩٣٠٦٦٢
قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٣٩١٥٤٥٦

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني

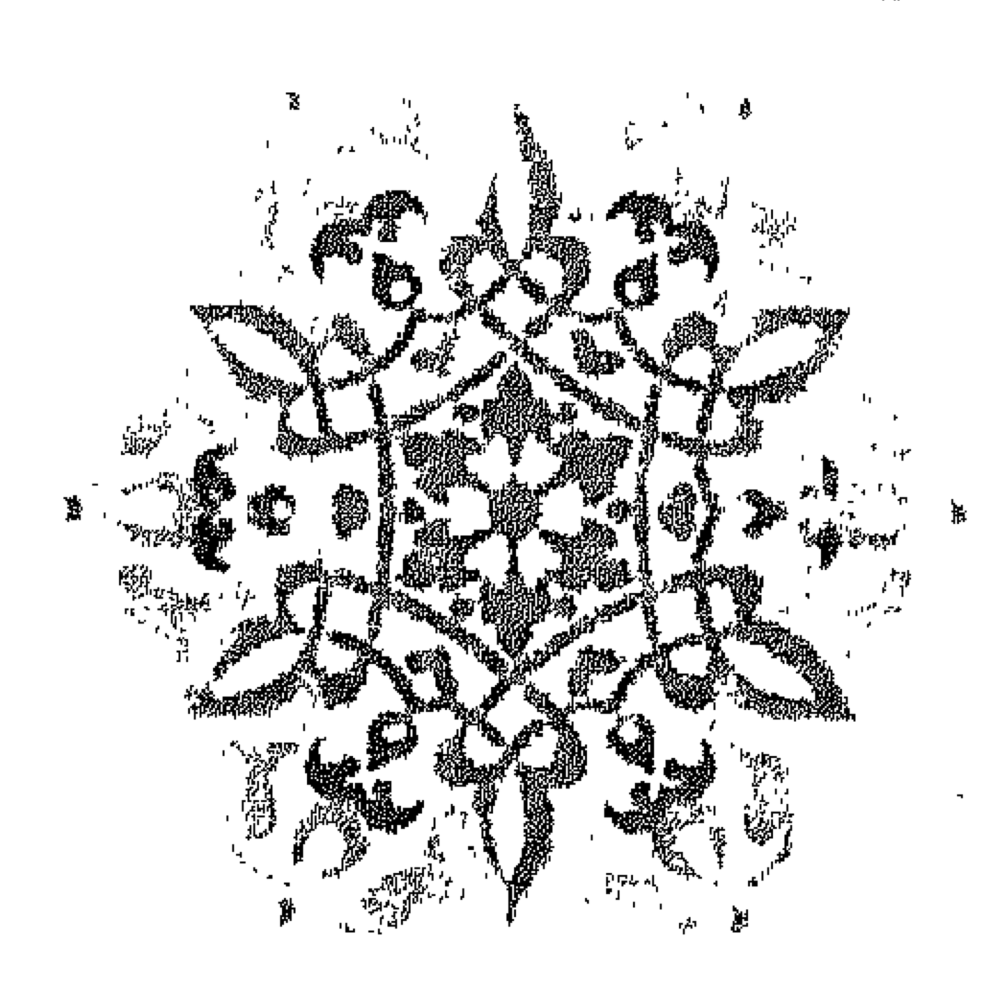
حسين عطا القراط



في هذا العدد

ثمن النسخة

مصر ١٥٠ قرشًا، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو.



الاشتراك السنوي:

١- في الداخل ٢٠ جنيهًا (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).

٢- في الخارج ٢٠ دولارًا أو ٧٥ ريالًا سعوديًا أو ما يعادلها.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الاسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - انصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

البريد الإلكتروني

المجلة Mgtawheed@hotmail.com
رئيس التحرير Gshatem@hotmail.com
التوزيع والاشتراكات Ashterakat@hotmail.com
موقع المجلة على الإنترنت www.altawhed.com
موقع المركز العام www.ELsonna.com

المركز العام

القاهرة - ٨ شارع قوله - عابدين

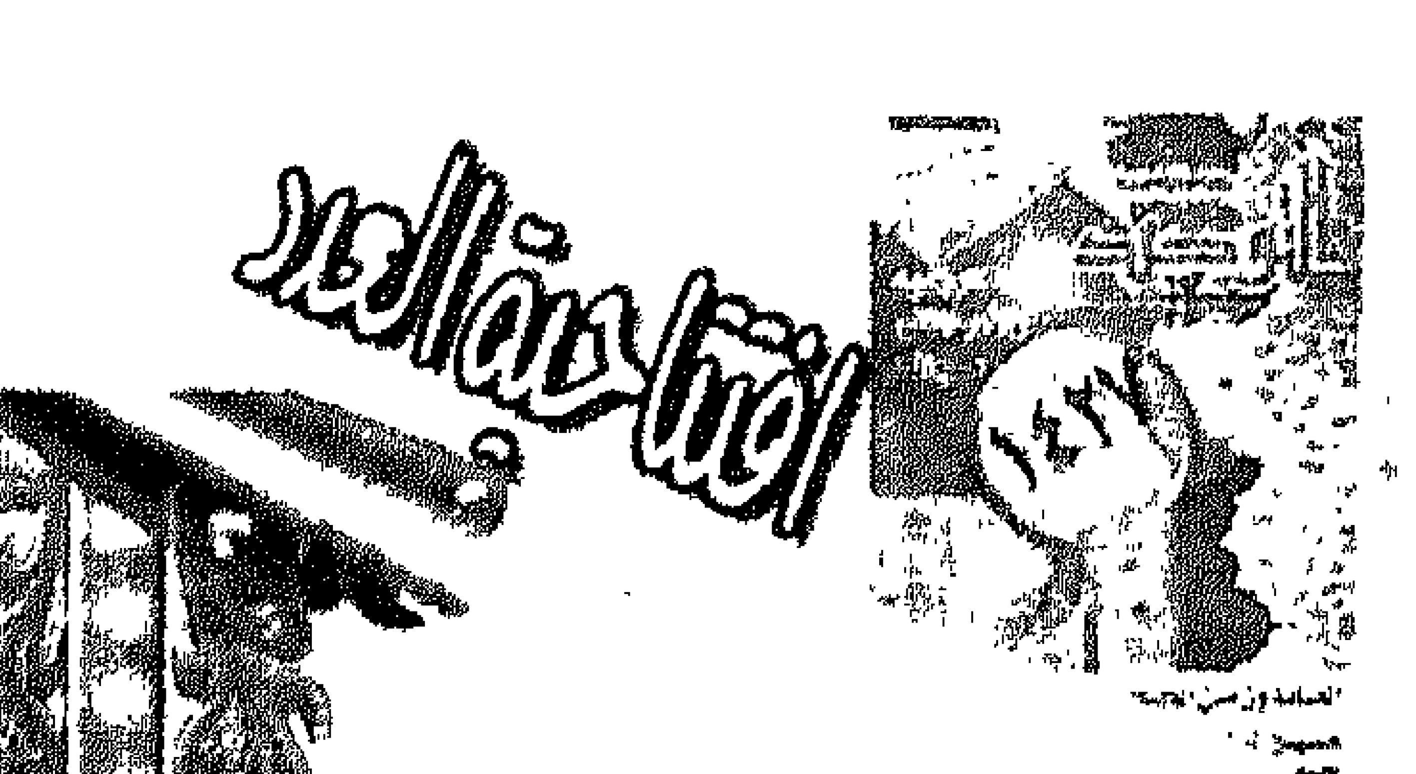
هاتف: ٣٩١٥٥٧٦ - ٣٩١٥٤٥٦

التوزيع الداخلي

مؤسسة الأهرام

وفروع أنصار السنة المحمدية

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر



العائدون من الحج

إعداد

د. جمال المراكبي

الرئيس العام

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، أحمدك ربي حمدًا طيبًا مباركًا فيه، ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد، وكلنا لله عبد، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد.

وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا، وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت سبحانك، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك لا ملجأ ولا منجى لي منك إلا إليك، أستغفرك وأتوب إليك.

يا من ألوذ به فيما أؤمله
ومن أعوذ به مما أحاذره
لا يجبر الناس عظمًا أنت كاسره
ولا يهيضون عظمًا أنت جابره

اللهم اجبر عجزنا، وارحم ضعفنا، واستر عوراتنا واغفر ذنوبنا، واستر عيوبنا، وتول أمرنا، واجمع شملنا، وألف بين قلوبنا، وانصرنا على من عادانا، اللهم صل على عبدك ونبيك محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على طريقته واتبع نهجه إلى يوم الدين، وعلى رسل الله أجمعين، وألحقنا بهم بمنك وكرمك يا أكرم الأكرمين ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء:٦٩-٧٠].

ثمرة الحج المبرور

لا شك أن الحج من أفضل الأعمال بعد الإيمان، وأنه لون من ألوان الجهاد في سبيل الله.

وقد سُئل النبي ﷺ: أي العمل أفضل؟ فقال: «إيمان بالله ورسوله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «جهاد في سبيل الله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور».
[رواه البخاري]

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: يا رسول الله نرى الجهادَ أفضلَ العمل، أفلا نجاهد؟

قال: «لا، ولكن أفضل الجهاد حج مبرور».

وفي رواية: «لَكُنَّ أفضل الجهاد حج مبرور». [رواه البخاري وغيره]

وبشر النبي ﷺ من حج واجتنب المحظورات ظاهرًا وباطنًا بغفران ذنوبه فقال «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه».
[رواه البخاري]

وقال ﷺ: «والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».

والحج المبرور هو المقبول الذي راعى فيه صاحبه شروط صحة العمل وشروط قبوله من إخلاص العمل لله تعالى، ومتابعة هدي النبي ﷺ، واجتناب الآثام والأوزار والفسق والرفث.

ومن علامات هذا الحج المبرور أن يرجع الحاج خيرًا مما كان وأن يترك ما كان عليه من التفريط والتقصير والمعاصي، وأن يتبدل بإخوانه البطالين، إخوانا صالحين، وبمجالس اللهو والغفلة، مجالس الذكر واليقظة.

والإخلاص من أصعب الأحوال، وأشق الأعمال خاصة إذا كان العمل باديًا ظاهرًا لا يستطيع المرء أن يخفيه كالحج، فالمسلم قد يصوم يومًا في سبيل

وعلامات القبول

الله لا يشعر أحد من الناس بصومه، وقد يصلي في جوف الليل في بيته لا يشعر به أحد ولكنه لا يستطيع أن يحج بيت الله الحرام دون أن يشعر به أحد، ومن هنا كان الجهد المبذول لتحقيق الإخلاص في الحج وفي سائر الأعمال الظاهرة مضاعفًا ممن وفقه الله وهداه، ولهذا كان ديدن الصالحين إظهار الزهد والتقشف في الحج، والتعبد لله عز وجل بالتذلل وإظهار الفاقة لله عز وجل، وقد أثر عن النبي ﷺ أنه حج على رحل، ورُوي أنه قال: اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعةً. [رواه ابن ماجه]

وعند البخاري عن ثمامة بن عبد الله بن أنس قال: حج أنس على رحل، ولم يكن شحيحًا، وحدَّث أن رسول الله ﷺ حج على رحل وكانت زاملته.

[البخاري ك.الحج ح١٥١٧]

وقوله: ولم يكن شحيحًا إشارة إلى أنه فعل ذلك تواضعًا منه واتباعًا، لا عن قلة، ولا عن بخل.

فأين هذا من الحج الذي تدعو إليه بعض شركات السياحة أو حج الفضائيات وهو الذي يعرف بحج الخمس نجوم إشارة إلى قمة الترف والدعة والرفاهية.

وقد حدثتني بالهاتف سيدة فاضلة حجت هذا العام مع بعض الدعاة الذين يظهرون على القنوات الفضائية ويفتتن بهم الناس ممن يُعرفون بالدعاة الجدد، وقالت: هل رأيت الحج على قناة . اقرأ؟

قالت المرأة: لا يمكن أن يكون هذا الذي رأيناه وفعلناه هو الحج الذي أمرنا به الله عز وجل، وبينه لنا رسول الله ﷺ حين قال: «خذوا عني مناسككم» فقلت لها: هوني عليك، ما الذي حدث؟

فقالت بانفعال: لا يمكن أن يُترك هذا الرجل ليعبث بعقول شبابنا وبناتنا، لقد رأيت الشباب والشابات وقد فتنوا بكل ما يقوله وما يفعله، إن ابني مفتون به. قلت لها: أخبريني بما حدث.

قالت: لقد رأيت في هذه الرحلة عجبًا، فتيات فاتنات يسافرن بغير محرم، واختلاط بين الشباب والفتيات في هذه البقاع الطاهرة، ونرى في هذا الاختلاط من ألوان الصخب والتهريج ما لا يمكن أن يحتمله مسلم ملتزم، الداعية الشاب يأمر الشباب بحلق اللحى، ويقول [ما ينفعش تبقى من فوق زلبطة ومن تحت بشعر]. ويقول: [اللي مش أصلا ملتحي يحلق دقنه].

وإذا وجد فتاةً منتقبة يأمرها أن تخلع النقاب ويقول: [طالما حتسالي أسئلة، الكاميرا حتيجي عليكي شيلي النقاب]، وقد فعلت واحدة ما أمرها به ثم دخلت على النساء باكية.

التصوير ليلا يمتد للساعة الثالثة صباحًا، وعادة ما يتعب الجميع وينام أكثرهم عن صلاة الفجر.

البنات يعرضن مشاريع مع الشباب، ويطلبون من رجال الأعمال تمويلها فيما يعرف بصناع الحياة، وفي يوم العيد رفض الداعية المشهور حلق رأسه وطلع على المسرح بمنى وقال: لم أحلق لأن عندي لقاءات بعد الحج . يعني لقاءات تلفزيونية.

هذا بعض ما ذكرته السيدة الفاضلة، بل وقالت إن ابني كان يصلي بالمسجد في الجماعة، وأصبح الآن لا يرتاد المسجد، وكل هذا يُفعل باسم الوسطية والحداثة التي تروج لها هذه القنوات وهؤلاء الدعاة.

والعجب أن بعض هذه المنكرات كانت تعرض على القناة الفضائية المشهورة، وكانت تعرض بعض البدع يوم عرفة مثل الدعاء الجماعي، ثم أخذ هؤلاء الحجيج يتعانقون يهنئ بعضهم بعضًا بالقبول بعد غروب شمس يوم عرفة.

ولا أريد أن أعلق على ما ذكرته السيدة الفاضلة، فكل من له علم ووعي يعلم أن روح العبادة أبعد ما تكون عن هذه التفاهات والحماقات.

ومعلوم أن أهل العلم لا يجزم أحد منهم بقبول العمل عند انقضائه، بل يستشعرون التقصير ويستغفرون الله عز وجل عند انقضاء العمل كما قال ربنا عز وجل ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة:١٩٩].

ومن أهل العلم من كان يغلب الخوف في هذا اليوم، ومنهم من كان يغلب الرجاء والطمع في القبول ومغفرة الذنوب لكنهم ما كانوا يتصافحون ولا يتعانقون ولا يهنئ بعضهم بعضا عند الإفاضة من عرفات، لكنهم يفيضون راجين راغبين راهبين خاشعين متذللين.

بل إن بدعة التصوير في المناسك مما يكاد يفرغ المناسك عن روحها، ويمنع تمام الخشوع فيها.

وقد لاحظنا انتشارها بين جموع الحجيج خاصة مع انتشار التليفونات التي فيها خاصية التصوير.

وداعية آخر ينزل من الحافلة ليلة المبيت بمزدلفة ويحلق شعره ويأمر من معه بالحلق والتقصير بدعوى أن النبي ﷺ قال: افعل ولا حرج، حتى قال بعضهم: لقد حولنا القاعدة الفقهية «المشقة تجلب التيسير» إلى لون من (الاستهبال والاستعباط) هكذا قال.

كيف نحقق بر الحج؟

لا يمكن أن نحقق البر في الحج إلا بتحري الإخلاص وحسن متابعة النبي ﷺ في قوله وفعله وأن نسعى لتحقيق معنى كلمة «لبيك اللهم لبيك» التي رددناها ورفعنا بها أصواتنا.

وتحقيق هذه الكلمة يكون أولا بفهم معناها، فهذه الكلمة يقولها الإنسان إذا دعاه من يحب ويعظم، فهي كلمة استجابة لمن تحب ومن ترغب وترهب وتعظم إذا دعاك أو ناداك، فتسارع بالإجابة قائلا لبيك أما إذا دعاك من لا تحب، ومن ليس له في قلبك مكانة فإنك تتثاقل عن إجابة دعائه وربما تمتنع من إجابته.

وفي رحلة الحج دعانا من له في قلوبنا كل الحب والرغبة والرهبة، دعانا ذو الجلال والإكرام، فسارعنا ولبينا؛ لأنه سبحانه أحب إلينا مما سواه، وهذا من علامة الإيمان كما في الحديث «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُلقى في النار».

[متفق عليه]

جزاء المستجيبين

إن من جزاء المستجيبين أن يكفيهم الله ما أهمهم وأن يدفع عنهم من السوء ما يخافون وما يحذرون.

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران:١٧٢-١٧٤].

وإن من أعظم جزاء المستجيبين الهداية إلى الجنة ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [الرعد:١٨].

إن أعظم ما في الحج أن يعتاد المسلم الاستجابة لله وللرسول ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال:٢٤].

ونماذج الاستجابة في الحج كثيرة، فهذا مولانا تبارك وتعالى دعانا لترك الأوطان، والأهل فاستجبنا، دعانا للطواف بالبيت فاستجبنا مع أن البيوت في الأرض كثيرة، ولكن تركنا كل البيوت قاصدين بيته، دعانا لاستلام الحجر وتقبيله أو الإشارة إليه فاستجبنا مع علمنا انه حجر لا يضر ولا ينفع، ولكن لأن رسول الله ﷺ استلمه وقبله، وأشار إليه فعلنا اقتداءً به ﷺ، دعانا للخروج إلى منى والمبيت بها يوم التروية، فتركنا البيت وتوجهنا إلى منى ملبين مستجيبين.

دعانا للوقوف بعرفة فلبينا، دعانا للمبيت بمزدلفة فلبينا دعانا لرمي الجمار والمبيت بمنى فلبينا، ثم دعانا للطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة فلبينا واستجبنا، إن معظم هذه الأعمال لا يستشعر الحاج فيها معنى خاصًا سوى الاستجابة والتلبية لأمر الله عز وجل والاستسلام لحكمه.

فهل نحن في سائر أعمالنا ملبون مستجيبون؟ دعانا لتجريد التوحيد ونبذ الشرك فهل نحن ملبون؟ دعانا للحفاظ على الصلوات فهل نحن ملبون مستجيبون؟ دعانا لبر الوالدين وصلة الأرحام وحسن الجوار وحسن العشرة والمعاملة فهل نحن ملبون مستجيبون؟ دعانا لترك الحرام والفواحش ما ظهر منها وما بطن فهل نحن ملبون مستجيبون؟.

إذا استجبت لله عز وجل في كل ما دعاك إليه فقد حققت بر الحج ورجعت من ذنوبك كيوم ولدتك أمك.

التمس أسباب المغفرة بعد الحج

إن الحج المبرور من أعظم أسباب مغفرة الذنوب «فمن حج فلم يفسق ولم يرفث رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه».

ولكن التوحيد وترك الشرك أعظم

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة:٩].

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨].

ومن لقي الله عز وجل بقراب الأرض خطايا، ولم يشرك به شيئًا لقيه الله عز وجل بقرابها مغفرة.

والاستغفار من اعظم أسباب المغفرة.

فاحرص على الاستغفار فإن رسول الله ﷺ كان يكثر من التوبة والاستغفار ويقول: رب اغفر لي وتب علي إنك انت التواب الغفور. مائة مرة.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران:١٣٥-١٣٦].

واعلم أخي المسلم أن الأعمال التي توجب المغفرة اكثر من أن تحصى، فالوضوء، والذكر بعد الوضوء، والإنفاق في سبيل الله في السراء والضراء، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس، والصبر، وصلاة ركعتين عقب الوضوء، والأذان للصلاة، وإجابة المؤذن، والمشي إلى المساجد والجماعات، وانتظار الصلوات، والصلوات الخمس، والجمعات، والتأمين في الصلوات، وقيام الليل، والذكر بعد الصلاة كل هذا مما تغفر به الذنوب والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصى.

وقد سبق أن كتبنا في ذلك بعنوان أسباب المغفرة، فنسأل الله العظيم رب العرش الكريم بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يجعلنا من أهلها. إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



الحمد لله مُسبغ النعم، دافع النّقم، أجاب عبده إذ ناداه في الظُّلَم، ووعد بالنصر من التزم صراطه الأقوم، وبعد:

بالأمس القريب غابت عنا شمس عام هجري، ذهب عنا بكل ما حمل في طياته من آمال وآلام، وطعنات من هنا وهناك، وهوان وانكسار، حيث اشتد على الأمة الحصار، وادلَهمَّتْ الخطوب، واشتدت عليها الكروب، وعصفت بها المحن، وأحاطت بها الفتن.

وما أحوج أمتنا الإسلامية اليوم أن تتفيأ ظلال عام جديد مفعم بالتفاؤل والآمال، فمع الخطوب الوشيكة الملمَّة، والعواصف المُحدقة المدلهمَّة يبقى التفاؤل ديدننا، والأمل المشرق رائدنا.

الإساءة لنبي الإسلام ﷺ !!

ومع انقضاء عام هجري ما زالت الفتن التي تصاعدت غيومها في سماء الأمة، والصدمة التي أصابت المسلمين في أنحاء المعمورة، بعد الهجوم السافر، والإهانات البذيئة التي وجهت إلى نبينا محمد ﷺ، وتحدثنا عن بعضها في العدد الماضي، تخيم بظلالها على مليار ونصف المليار من المسلمين في شتى بقاع الدنيا، بعد أن انتقلت حملة الإساءة والافتراء على رسولنا الكريم ﷺ، من بعض المصحف الدنماركية إلى النرويج حيث نشرت إحدى المجلات النرويجية الرسومات الكاريكاتورية الإثنتي عشرة التي سبق نشرها في صحيفة «يولاندس بوستن» الدنماركية، الأمر الذي أثار شعور المسلمين ولا تزال الحملة المسعورة ضد نبي الإسلام عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم قائمة غير قاعدة، وأن هذه الحملة الظالمة بل الحملات العدوانية قد إزدادت في الفترة الأخيرة بشكل ملحوظ، وأن المستهدف هو نبي الهدى والرحمة خاتم الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وأن الذين يطلقون هذه الحملات لا يدركون بأن الله عز وجل قد أكرم هذا النبي الأمين بقوله: ﴿ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء:١١٣]. وبقوله أيضًا ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح:٤]. وقال عليه الصلاة والسلام عن نفسه: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع».

[رواه مسلم]

إن التشكيك والطعن بالدين الإسلامي العظيم وبالرسول ﷺ هو هدف مشترك لجميع أعداء الإسلام عبر التاريخ، وقد شهدت الحقب الزمنية المتعاقبة محاولات متعددة للتشكيك في الإسلام ولتشويه صورته، وإلصاق التهم الباطلة به، والتطاول على نبي الهدى والرحمة ﷺ.

ولكن هذه المحاولات الظالمة لم تحقق ولن تحقق أهدافها الخبيثة في إبعاد المسلمين عن دينهم، فقد باءت بالفشل الذريع، بل ازداد تمسك المسلمين بدينهم، وقوي اعتزازهم به.

وكيف يوصف نبينا العظيم بالقاتل والمعتدي

كلمة التحرير

رسولنا الكريم ﷺ لن ينقص من قدره ومقامه ومنزلته، السفهاء والغوغاء، فهم موجودون في كل زمان ومكان، تحركهم أيدي الضلالة والتآمر على البلاد والعباد من حيث يشعرون أو لا يشعرون

الذي نشر الإسلام بحد السيف، وهو الذي دعا بالهداية لأهل الطائف رغم أنهم أوعزوا لغلمانهم وسفهائهم بإيذاء الرسول ﷺ، والاعتداء عليه، فقذفوه بالحجارة حتى أدموا قدميه الشريفتين، فحينما لجأ عليه الصلاة والسلام إلى كرم العنب دعا دعاءه المشهور بقوله: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني؟! إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك، أو يحل على سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك».

لن ينقص من قدره السفهاء

ورسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم عَدَّ الرضا من الله عز وجل هو السلاح الإيماني، وهو القوة الفاعلة وأن ما لقيه من الغلمان والسفهاء والغوغاء لم يفت من عضده، ولم يضعف من عزيمته، ولم ينقص من قدره ومقامه ومنزلته، فالسفهاء والغوغاء موجودون في كل زمان ومكان، تحركهم أيدي الضلالة والتآمر على البلاد والعباد من حيث يشعرون أو لا يشعرون ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء:١٨].

ولقد نزل جبريل عليه السلام من السماوات العلا ومعه ملك الجبال، أرسله رب العالمين ليقول للنبي محمد ﷺ: «إن الله أمرني أن أطيعك في قومك لما صنعوه معك، ولو أردت أن أطبق عليهم الأخشبين لفعلت» فما كان جواب صاحب الخلق العظيم عليه الصلاة وأتم التسليم إلا أن قال: «اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون، لعل الله يخرج من أصلابهم من يوحد الله، فقال له ملك الجبال: صدق من سماك الرؤوف الرحيم».

وكيف يوصف نبينا الكريم بالقاتل والمعتدي وهو الذي عفا عن أهل مكة يوم الفتح الأعظم؟ لقد خطب عليه الصلاة والسلام في أهل مكة خطبة مطولة قال فيها: «يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء الناس من آدم، وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات:١٣]. ثم قال: «يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيرًا، أخ كريم وابن أخ كريم، فقال قولته الشهيرة «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

بيان الأزهر... وصدمة المسلمين!!

ومع اشتداد الحملة الغربية على الإسلام والمسلمين... والإساءة الدانماركية على وجه الخصوص.. تطلع المسلمون في أنحاء العالم إلى موقف الأزهر الشريف وعلى رأسه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أثناء المقابلة التي التقى فيها مع سفير الدانمارك بالقاهرة بمقر المشيخة.. وقد لا يصدق الكثيرون أن تصدر هذه الكلمات عن شيخ الأزهر، وإمام المسلمين فما بالنا بما يوجه إلى رسولنا الكريم.

وقد جاءت كلمات فضيلته عقب لقائه بسفير

الدانمارك مؤكدًا أن مصر تربطها علاقة طيبة بدولة الدانمارك موضحًا أن الدراسة بالزهر الشريف تقوم على السماحة، وعلى الإخاء الإنساني، وأن شريعة الإسلام تعتبر الناس جميعًا إخوة في الإنسانية، ثم تطرق فضيلته في حديثه إلى ما نشر بإحدى الجرائد الدانماركية والتي أساءت إلى نبي الإسلام محمد ﷺ. مشيرًا إلى أن الإساءة إلى الأموات، بصفة عامة تتنافى مع المبادئ الإنسانية الكريمة سواء أكانت هذه الإساءة إلى الأموات من الأنبياء أو المصلحين أو غيرهم الذين فارقوا الحياة الدنيا.. فالأمم العاقلة الرشيدة تحترم الذين انتهت آجالهم وماتوا، وهذا ما تقتضيه العقول الإنسانية السليمة، وفي الوقت نفسه نحن نقدس الحرية.. ولكن الحرية في حدود ما أباحته القوانين والشرائع.. كما نوجه رسالة إلى العالم أجمع بأن نترك الإساءة إلى الأموات الذين لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم، كما أن شريعة الإسلام تحترم جميع الأنبياء من سيدنا إبراهيم وحتى سيدنا محمد ﷺ» اهـ.

فهل يعقل أن يذكر بيان الأزهر على لسان فضيلة الإمام الأكبر الرسول ﷺ بأنه ميت لا يستطيع الدفاع عن نفسه؟!!

وهل هذا هو كل ما يمثله رسولنا المصطفى في قلوب مليار ونصف المليار مسلم لنضعه في صف واحد مع زمرة الأموات؟!!

هل يعقل أن نختزل مكانة الأنبياء في نفوس أتباعهم إلى هذا الحد، وإلى تلك الصورة؟!! وهل افتقدنا القدرة والجرأة حتى عن مجرد ذكر ما يمثله الرسول الكريم من مكانة لدى المسلمين ووصف ما تسببه الإساءة إليه من إيذاء وجرح لمشاعرهم؟!!

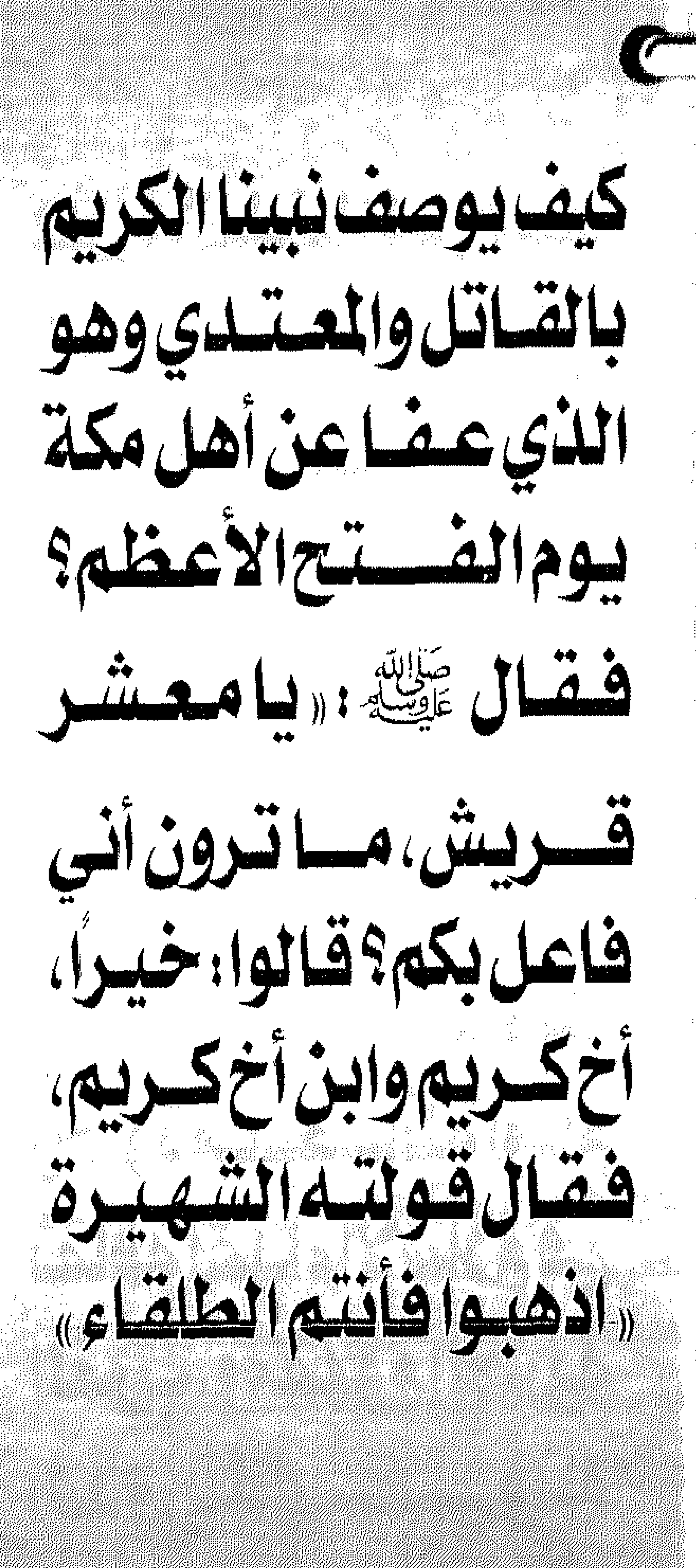
فلا يمكن أن ينطلق تصدينا للدفاع عن الرسول ﷺ من مجرد أنه شخص ميت، لا يستطيع الدفاع عن نفسه، وأنه لا يمكن وضعه في صف واحد مع أي من الأموات، لذا كان البيان الصادر عن فضيلة الإمام يمثل صدمة وحزنًا ودهشة.

وهل وصلنا إلى هذه الدرجة من الهوان والتي لا نستطيع معها أن ندافع عن نبينا بما يليق بشخصه العظيم؟!! وأن أمة الإسلام ليست رخوة متضائلة أمام ثقافة أعداء الإسلام في الغرب، ومفهوم الحرية الذي يدعونه.

وهل وضعت أمة الإسلام نفسها موضع الضعف والاستكانة حتى تواجه مثل هذه الإساءات بهذه النعومة في الكلمات كما جاء على لسان الدكتورة آمنة نصير أستاذ العقيدة بجامعة الأزهر قائلة إن هذا البيان لا يرقى إلى عزة المسلم بنبيه الكريم؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!!

قرار غريب يثير الدهشة!!

ومع استمرار سرد الأحداث المؤسفة التي عايشناها مع أفول شمس عام انقضى، ووسط حالة من الدهشة عمت الجاليات الإسلامية في الدانمارك... فوجئنا بخبر نقل السفيرة المصرية «منى عمر» من الدانمارك إلى جنوب أفريقيا على أن تتسلم عملها الجديد بداية مارس المقبل!!



كلمة التحرير

كلمة التحرير

هل وصلنا إلى هذه الدرجة من الهوان والتي لا نستطيع معها أن ندافع عن نبينا ﷺ بما يليق بشخصه العظيم؟!!

أن أمة الإسلام ليست رخوة متضائلة أمام ثقافة أعداء الإسلام في الغرب، ومفهوم الحرية الذي يدعونه

إلى هنا فالخبر عادي في إطار التنقلات في مراكز العمل، ولكن الدهشة التي عقدت ألسنة الجاليات الإسلامية والتي راحت عناصرها من مسئولين وصحفيين وأفراد تجري الاتصالات لمعرفة مغزى توقيت هذا القرار الذي جاء في وقت كانت فيه السفيرة المصرية على رأس من قادوا حملة الدفاع عن النبي محمد ﷺ ضد عمليات التعريض به والإساءة إليه في الصحف الدانماركية من خلال الرسومات البذيئة والوقحة التي نشرت خلال الأشهر الماضية، ودارت تساؤلات عدة حول ما إذا كان قرار نقل السفيرة يرتبط بشكل أو بآخر بموقفها المعلن والواضح من قضية الإساءة إلى الرسول ﷺ.

وقد أدان مجلس جامعة الدول العربية في اجتماعه الوزاري بالقاهرة الهجوم الوقح على النبي محمد ﷺ مطالبًا حكومة الدنمارك بمواجهة تلك المحاولات الخبيثة، وتهديده بتصعيد الموقف عبر سلسلة من الإجراءات والقرارات.

وقد نشرت صحيفة «يولاندس بوسطن» بأن الجامعة العربية قد طالبت حكومة الدنمارك بمواجهة تلك المحاولات الخبيثة، كان على أثرها حدوث تطورات جديدة في مواجهة تلك الحملة الدنماركية فقد أصدر اثنا عشر كاتبًا ومفكرًا دانماركيا بيانًا أعلنوا فيه صراحة إدانتهم لموقف رئيس الوزراء الدنماركي من الأزمة منذ بدايتها، وتحرك اثنان وعشرون سفيرًا من السفراء الدنماركيين السابقين في دول عربية وإسلامية حيث تقدموا بعارضة إدانة لرئيس الوزراء لموقفه من الأزمة التي طرأت على المجتمع الدنماركي بالرسومات البذيئة لصحيفة «يولاند بوسطن» اليومية الواسعة الانتشار.

يأتي ذلك في وقت حذرت فيه أوساط مختلفة في الدنمارك من استمرار الاتجاه الرامي إلى إنتاج الفيلم المزمع إنتاجه برعاية رئيس الوزراء الدنماركي تأليف الكاتبة الصومالية المرتدة «أيان حرزي علي» التي أعلنت على الملأ وسائل الإعلام الدنماركية أنها ستقوم قريبًا بعمل فيلم لتصحيح أخطاء النبي محمد ﷺ - حسب زعمها - الأمر الذي سوف يترتب عليه حالة من الفتنة غير المسبوقة تتجاوز حدود الدنمارك إذا ما قُدِّر لمثل هذا الفيلم أن يرى النور.

إنا لله وإنا إليه راجعون

ألا ما أشدَّ حاجتنا - ونحن نستشرف آفاق العام الهجري الجديد - إلى وقفات تأمُّل ومحاسبة، ومراجعة جادة لاستثمار كل ما يعزز مسيرة أمتنا؛ لتزدلف إلى عام جديد وهي أكثر عزمًا وأشد مضاءً لفتح آمال وآفاق مشرقة لإسعاد الإنسانية لتتبوأ مكانتها المتقدمة، ومنزلتها الريادية فوق هذا الكوكب الأرضي.

والله المسؤول أن يجعل هذا العام عام خير وبركة ونصر وتمكين للإسلام والمسلمين، وعام أمن وأمان وعدل وسلام للإنسانية قاطبة. وأن يجمع كلمة المسلمين ويوحِّد صفوفهم ويطهر مقدساتهم، وينصرهم على أعدائهم إنه خير مسؤول وأكرم مأمول، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧) فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر: ١- ١٠].

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي

بين يدي السورة

سورةٌ مكية، وهي من أول ما نزل من القرآن، بل هي ثاني سورة بعد العلق، فعن جابر بن عبد الله أنّه سمع رسول الله ﷺ يحدّثُ عن فترةِ الوحْي: «فبينا أنا أمشي إذْ سمعتُ صوتًا من السماء، فرفعتُ بصري قبل السماء فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعدٌ على كرسيٍّ بين السماء والأرض، فجثيت منه حتى هويتُ إلى الأرض، فجئت أهلي فقلتُ: زَملوني زملوني، فزملوني، فانزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾. [البخاري: ٤٩٢٥، ومسلم: ١٦١].

وقد استفتحت بأمر النبيّ بترك النوم والفراش، وأن يُنذر قومه من قبل أن يأتيهم عذاب أليم، بما وقعوا فيه من الشرك، ثم وجهته ﷺ إلى بعض الأمور التي يستعين بها على ما كُلف به. وذكرت بعض أهوالِ يوم القيامة، وما يلقاه الكافرون عمومًا، والوليد بن المغيرة خصوصًا، من العذاب الأليم في سقر، التي جعل الله ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ من الملائكة لحكمةٍ بينتها الآيات.

ثم ذكرتِ السورة ما يكون من أهل الجنة من سؤالِ أهلِ النار: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾، وجواب أهل النار على هذا السؤال.

وخُتمت بالإنكار على المشركين إعراضهم عن التذكرة، لا لشيءٍ، إلا أنهم ﴿يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَى صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾، وليس للإنسان ما تمنى، فـ ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وقد أنزل الذكر على محمد ﷺ: ﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ (٥٥) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾.

تفسير الآيات

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ أي المتغطّي بثيابه «قم» فقد جاء وقت الجهد والمشقة، ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ قومك، ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، فقد صاروا على شفا حفرة من النار، بما هم مقيمون عليه من الشرك، واستعن على هذه المهمة الثقيلة الشاقة بهذه الأمور:

الأمر الأول: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾، فإن الله هو العلي الكبير، وكل شيء سواه حقير، وهذه حقيقة من أعظم الحقائق التي يجب أن يستشعرها الداعية، يجبُ على كلّ داعية أن يستشعر دائمًا جلال الله، وعظمته، وكبرياءَه، حتى يشعر بحقارة كل شيء دونه، فلا يهتمّ به، ولا يكترثُ له، ولا يخشاه، إنما يخشى الله وحده، ومتى استشعر الداعيةُ هذه الحقيقة مضى في طريقه يبلغ دعوة ربه، لا يخافُ لومة لائم، لأنه يعلم أنّ ربه وحده هو الكبير الذي يستحق أن يكبّره ويعظمه ويمجّده، وأنّ ما سوى الله فشيءٌ صغيرٌ صغيرٌ صغيرٌ، لا يملكُ لنفسه ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، وهكذا كان الأنبياء عليهم السلام، فهذا نوحٌ عليه السلام يقولُ لقومه: ﴿يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١].

وهذا هودٌ عليه السلام لما قال له قومه: ﴿يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (٥٣) إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ (٥٥) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٣-٥٦] ونبينا محمدٌ ﷺ لما خرج مهاجرًا مع صاحبه أبي بكر دخلا الغار، وجاء القوم في طلبهما حتى انتهوا إلى الغار، حتى قال أبو بكر: يا رسول الله، لو نظر أحدهم تحت قدمه لرآنا، فما كان منه ﷺ إلا أن قال لأبي بكر مُطمئنًا: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما، يا أبا بكر لا تحزن إن الله معنا».

ولما قيل له ﷺ وللمؤمنين معه يوم حمراء الأسد: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ لم يزدْهم ذلك القولُ إلا إيمانًا، كما قال تعالى: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

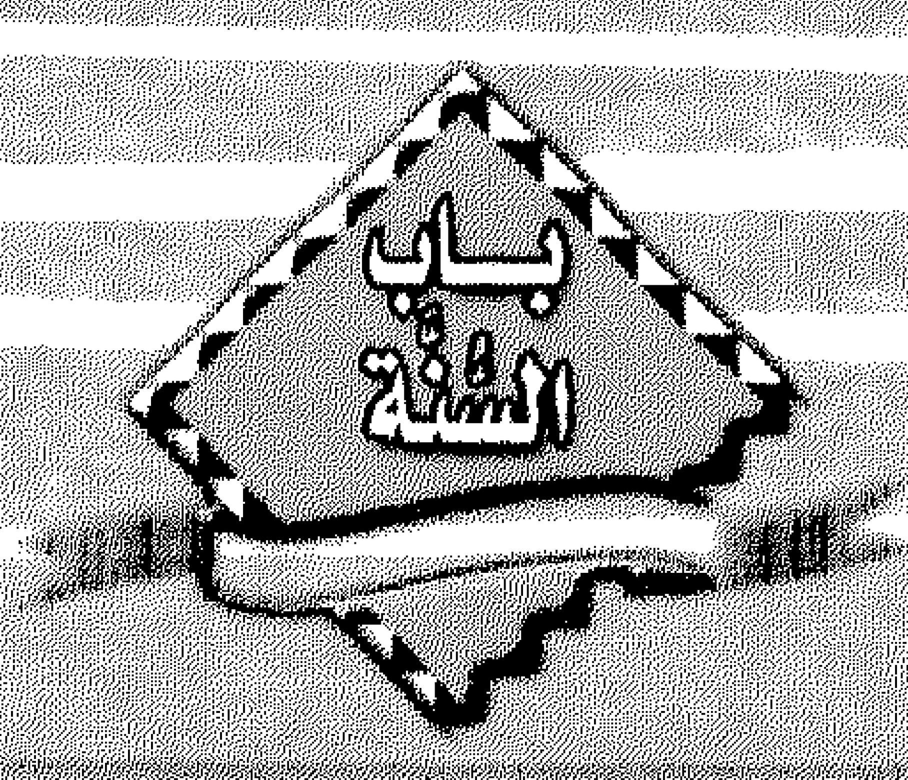
الأمر الثاني: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾، قال المفسرون: العرب تريد بطهارة الثوب النزاهة والعفة، فتقول: فلان ذيله طاهرٌ، يعنون أنه رجلٌ عفيف وفلان ذيله نجسٌ، يعني أنه ملطخٌ بالقاذورات والفواحش. وعلى هذا فالطهارةُ هنا معنوية، والمقصود: طهّر قلبك، وطهّر نيتك، وطهّر صدرك، وطهر أعمالك، ولا يمنع من أن يكونَ المرادُ بالآية الطهارةَ الحسيّة، فيكون المراد طهارة الثياب حتى تصحّ الصلاة فيها. والله أعلم.

الثالث: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ المراد بالرجز الأصنام والأوثان، كما قال تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج:٣٠]، والمعنى: اهجر الأصنام ولا تقع في عبادتها كما وقع فيها قومُك، وهو ﷺ كان هاجرًا للأصنام من صغره، ولم يكره شيئًا في حياته كراهيته إياها. فالأمرُ بهجرها أمرٌ باستمرار هجرها، ولا يلزم من أمره بهجرها أن يكون غير هاجرها، وإنما هذه الآيةُ كقوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ١]، مع أنه ﷺ كان أتقى الناس لله وأخشاهم له، وكقول المؤمنين في صلاتهم: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، مع أنهم مهتدون.

الرابع: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ لا تعطِ العطاءَ تستكثره، سواء ما تعطيه لله أو ما تعطيه لعباد الله، لا تستكثر جهدًا تقدّمه من أجل الله في الدّعوة إليه، ولا تستكثر تضحية تضحّي بها لمصلحة الدعوة، فكلّ ما تقدّمه صغيرٌ وصغيرٌ وصغيرٌ، فعليك وعلى الدعاةِ مِن بعدِك أن تعلموا أنّ كلّ جُهْدٍ تقدّمونه، وكل تضحية تبذلونها، فبتوفيق الله، ولولا اللّهُ ما قدّمتم شيئًا، فلا تمنوا بما تقدمون، بل اشكروا الله أن هداكم لما تقدّمون، فهو الذي وفقكم، وهو الذي أعانكم، وهو الذي اجتباكم واصطفاكم لهذه الوظيفة، فاشكروا الله سبحانه وغضوا أبصاركم عما تقدّمون، فإنّ الإنسان إذا نظر إلى ما يقدّم استكثره، وإذا استكثره ترك العطاء وبخل به، والدعوة بحاجة إلى عطاء مستمر، وإذا أعطيت أحدًا شيئًا من مالك، أو شيئًا من عملك، أو شيئًا من وقتك، فلا تستكثره، ولا تمنّ به عليه، ولا تعطِ رجاءَ أن تأخذَ أكثر مما أعطيت، وليكنْ عطاؤُك للّه، لا لشيء سواه.

الأمر الخامس: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ اصبر على مشاقّ الدعوة، فإنها ثقيلةٌ وشاقةٌ جدًا، واصبر على ما يعترضك من عقبات وصعابٍ، واصبر على أذى المدعوين وتكذيبهم لك، وليكنْ صبرُك لله، لا لشيءٍ آخر، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الرعد: ١].

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، فالنّاقور هو الصور، والنقرُ هو النفخُ، إلاّ أنّ هذه الألفاظ في هذه الآية تعطي دلالةً لا تعطيها ألفاظُ الآية الثانية، فالنّقْرُ صوتٌ شديدٌ يَدوّي، فكأنه ينقرُ الآذان نقرًا، ومِنْ ثَمّ وُصِفَ يومُ النّقرِ بالعُسْر، فقال تعالى: ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ لا يُسْرَ فيه، إلا أنّ عُسرهَ مقيد بالكافرين كما قال تعالى: ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ فَفُهِمَ من ذلك أنّه يكون يسيرًا على المؤمنين إن شاء الله، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ (٦) خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ (٧) مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: ٦-٨]. وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.



الطلاق السني والطلاق البدعي

أولا: الطلاق في الحيض

الحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه طلق امرأته وهي حائض على

ثمّ إنْ شاءَ أمْسَكَ بَعْدَ، وإنْ شاءَ طلق قَبْلَ أنْ يَمَسّ، فتِلْكَ العِدّة التِي أمَرَ اللهُ أنْ تُطَلَّقَ لَهَا النِّسَاءُ».

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في تسعة مواضع بالأرقام (٤٩٠٨- ٥٢٥١- ٥٢٥٢- ٥٢٥٣- ٥٢٥٨- ٥٢٦٤- ٥٣٣٢- ٥٣٣٣- ٧١٦٠)، وأخرجه الإمام مسلم في الصحيح برقم (١٤٧١/١ - ١٤)، وأخرجه أبو داود في الطلاق برقم (٢١٧٩)، والترمذي في الطلاق برقمي (١١٧٥- ١١٧٦)، والنسائي في الطلاق بالأرقام (من ٣٤١٨ إلى ٣٤٢٩)، وابن ماجه في الطلاق برقم (٢٠١٩)، ومالك في الموطأ كما في الاستذكار برقم (١١٧٦) حـ١٨ ص٨، ومن طريقه أخرجه الشافعي في «الأم» وفي «المسند»، وأحمد (٦٣/٢)، والدارمي (١٦٠/٢)، والبيهقي.

شرح الحديث:

قال الحافظ ابن حجر: وقد قسم الفقهاء الطلاق إلى سني وبدعي، وإلى قسم ثالث لا وصف له، فالأول: ما تقدم من أنه «يطلقها طاهرًا من غير جماع»، والثاني: أن يطلق في الحيض أو في طهر جامعها فيه ولم يتبين أمرها أَحَمَلَتْ أم لا، ومنهم من أضاف له أن يزيد على طلقة، (أي أن يطلق طلقتين أو ثلاثًا في وقت واحد ومجلس واحد)، ومنهم من أضاف الخلع، والثالث: تطليق الصغيرة والآيسة والحامل التي قربت ولادتها، وكذا إذا وقع السؤال منها (أي طلبت الطلاق) بشرط أن تكون عالمة بالأمر، وكذا إذا وقع الخلع بسؤالها وقلنا إنه طلاق.

قال رحمه الله تعالى: ويستثنى من تحريم طلاق الحائض صور، منها: ما لو كانت حاملاً ورأت الدم وقلنا: الحامل تحيض، فلا يكون طلاقها بدعيًا ولا سيما إن وقع بقرب الولادة، ومنها إذا طلق الحاكم على المولي واتفق وقوع ذلك في الحيض، وكذا في صورة الحكمين إذا تعين ذلك طريقًا لرفع الشقاق وكذلك الخلع، والله أعلم.

قوله: «أنه طلق امرأته»: وفي مسلم من رواية الليث عن نافع: «أن ابن عمر طلق امرأة له»، وعنده من رواية عبيد الله بن عمر عن

نافع عن ابن عمر «طلقت امرأتي» قال النووي: اسمها آمنة بنت غِفَار. وقيل غير ذلك.

وقوله: «وهي حائض». وفي رواية ابن أصبغ: «أنه طلق امرأته وهي في دمها حائض»، وعند البيهقي: «أنه طلق امرأته في حيضها». أي طلقها في الحيض.

قوله: «على عهد رسول الله ﷺ» كذا في رواية مالك عند البخاري، ومثله عند مسلم من رواية أبي الزبير، قال الحافظ في الفتح: وأكثر الرواة لم يذكروا ذلك استغناءً بما في الخبر أن عمر سأل عن ذلك رسول الله ﷺ، فاستلزم أن ذلك وقع في عهده، وعند مسلم في رواية الليث زيادة «تطليقة واحدة» قال مسلم في آخره: «وجَوَّد الليث في قوله: «تطليقة واحدة». اهـ.

وكذلك روى مسلم عن محمد بن سيرين قال: مكثت عشرين سنة يحدثني من لا أتهم أن ابن عمر طلق امرأته ثلاثًا وهي حائض، فأُمِرَ أن يراجعها، فجعلت لا أتهمهم ولا أعرف الحديث (أي وجهه) حتى لقيت أبا غلاَّبٍ يونسَ بن جبير الباهلي، وكان ذا ثبت، فحدثني أنه سأل ابن عمر، فحدثه أنه طلق امرأته تطليقة وهي حائض، فأمر أن يُرْجِعَها. قال: قلت: أفَحُسِبَتْ عليه ؟ قال: فمه، أوَ إن عجز واستحمق؟.

وأخرجه الدارقطني والبيهقي من طريق الشعبي قال: «طلق ابن عمر امرأته وهي حائض واحدة»، ومن طريق عطاء الخراساني عن الحسن عن ابن عمر أنه «طلق امرأته تطليقة وهي حائض».

قوله: «فسأل عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ عن ذلك». وفي رواية ابن أبي ذئب عن نافع «فأتى عمر النبي ﷺ فذكر له ذلك». أخرجه الدارقطني، وكذا ساقه المصنف من رواية قتادة، وعند مسلم من رواية يونس بن عبيد، وكذا في رواية طاووس، وكذا في رواية الشعبي، وزاد فيه الزهري كما في كتاب التفسير عن سالم أن ابن عمر أخبره.. فتغيَّظ فيه رسول الله ﷺ، قال الحافظ في الفتح: ولم أرَ هذه الزيادة في رواية غير سالم، وهو أجَلُّ من روى الحديث عن ابن عمر، وفيه إشعار بأن الطلاق في الحيض كان تقدم النهي عنه، وإلا لم يقع التغيظ على أمر لم يسبق النهي عنه. ولا يعكر على ذلك مبادرة عمر بالسؤال عن ذلك لاحتمال أن يكون عرف حكم الطلاق في الحيض وأنه منهي عنه ولم يعرف ماذا يصنع من وقع له ذلك. قال ابن العربي: سؤال عمر يحتمل أنهم لم يروا قبلها مثلها فسأل ليعلم، ويحتمل أن يكون لما رأى في القرآن قوله تعالى: «﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾»، وقوله تعالى: «﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾» أراد أن يعلم أن هذا قرءٌ أم لا؟ ويحتمل أن يكون سمع من النبي ﷺ النهي فجاء ليسأل عن الحكم بعد ذلك، وقال ابن دقيق العيد: وتغيظ النبي ﷺ؛ إما لأن المعنى الذي يقتضي المنع كان ظاهرًا فكان مقتضى الحال التثبت (أي التريُّث) في ذلك، أو لأنه كان ينبغي مشاورة النبي ﷺ في ذلك إذا عزم عليه.

قوله ﷺ: «مره فليراجعها» قال ابن دقيق العيد: يتعلق به مسألة أصولية، وهي: أن الأمر بالأمر بالشيء هل هو أمر بذلك أم لا؟ ثم نقل ابن حجر في الفتح المسألة عن ابن الحاجب والخلاف في ذلك، وملخص المسألة كما أنهاها الحافظ في الفتح كما يلي:

تنقسم المسألة إلى صورتين:

١- إذا أمر الشارع مكلفًا أن يأمر غيره من المكلفين بأمر، كان الأمر بالأمر بالشيء أمرًا به، ويكون دور المأمور الأول مجرد التبليغ،

ويجب على من يأمره امتثال الأمر، فإن لم يمتثله كان عاصيًا.

ومن أمثلة ذلك:

أ- قول النبي ﷺ لمالك بن الحويرث وأصحابه: «مروهم بصلاة كذا في حين كذا..».

ب- قول النبي ﷺ لرسول ابنته: «مرها فلتصبر ولتحتسب». ونظائره كثيرة.

٢- وإذا أمر الشارع مكلفًا أن يأمر غير مكلف بأمر فلا يكون ذلك أمرًا للمأمور الثاني. فإن امتثله فحسن، وإن لم يمتثله فلا حرج عليه، ومثله إذا كان الآمر غير الشارع.

ومن أمثلته:

قول النبي ﷺ: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين».

هل المراجعة واجبة؟

قال الحافظ: واختلف في وجوب المراجعة، فذهب إلى وجوبها مالك وهو رواية عن أحمد، وذهب الجمهور إلى أنها مستحبة، وهو المشهور عن أحمد، واحتج الجمهور بأن ابتداء النكاح لا يجب فاستدامته كذلك لا تجب، قال: لكن صحح صاحب الهداية من الحنفية أنها واجبة، قال: والحجة لمن قال بالوجوب ورود الأمر بها، ولأن الطلاق لما كان محرمًا في الحيض كانت استدامة النكاح فيه واجبة، قال: فلو تمادى الذي طلق في الحيض حتى طهرت (فهل يجبر على الرجعة؟) قال مالك وأكثر أصحابه يجبر على الرجعة أيضًا، وقال أشهب منهم - أي من المالكية- إذا طهرت انتهى الأمر بالرجعة، واتفقوا على أنها إذا انقضت عدتها فلا رجعة حينئذ، وكذا لو طلقها في طهر قد مسها فيه لا يؤمر بمراجعتها، كذا نقله ابن بطال وغيره. لكن الخلاف فيه ثابت قد حكاه بعض الشافعية، واتفقوا على أنه لو طلق قبل الدخول وهي حائض لم يؤمر بالمراجعة إلا ما نقل عن زفر فطرد الباب.

قوله ﷺ: «ثم ليمسكها» أي يستمر بها في عصمته.

قوله ﷺ: «حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر» كذا في معظم الروايات، وفي رواية محمد بن عبد الرحمن عن سالم بلفظ: «مره فليراجعها، ثم ليطلقها طاهرًا أو حاملاً»، قال الحافظ في الفتح: وقد اختلف في الحكمة في ذلك.

قيل: الحكمة فيه أن لا تصير الرجعة لغرض الطلاق، فإذا أمسكها زمانًا يحل له فيه طلاقها ظهرت فائدة الرجعة، لأنه قد يطول مقامه معها، فقد يجامعها فيذهب ما في نفسه من سبب طلاقها فيمسكها.

وقيل: إن الطهر الذي يلي الحيض الذي طلقها فيه كقرء واحد، فلو طلقها فيه لكان كمن طلق في الحيض، وهو ممنوع من الطلاق في الحيض، فلزم أن يتأخر إلى الطهر الثاني.

كذلك اختلف العلماء في جواز تطليقها في الطهر الذي يلي الحيضة التي طلق فيها؛ والحق أنه مأمور بإمساكها في هذا الطهر، ممنوع من طلاقها فيه فكيف يباح له أن يطلق فيه؟

قوله ﷺ: «ثم إن شاء أمسك بعد وإن شاء طلق قبل أن يمس». وفي رواية أيوب: «ثم يطلقها قبل أن يمسها». وفي رواية عبيد الله بن عمر: «فإذا طهرت فليطلقها قبل أن يجامعها أو يمسكها». ونحوه في رواية الليث، وفي رواية الزهري عن سالم: «فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهرًا قبل أن يمسها». وهذه الروايات يفسر بعضها بعضًا، وفي رواية محمد بن عبد الرحمن عن سالم: «ثم ليطلقها طاهرًا أو حاملاً»، وتمسك بهذه الزيادة من استثنى من تحريم الطلاق في طهر

جامع فيه ما إذا ظهر الحمل فإنه لا يحرم.

والحكمة فيه أنه إذا ظهر الحمل فقد أقدم على ذلك على بصيرة فلا يندم على الطلاق، وأيضًا فإن زمن الحمل زمن الرغبة في الوطء فإقدامه على الطلاق فيه يدل على عدم رغبته فيها.

ثم قال الحافظ: والحاصل أن الأحكام المترتبة على الحيض نوعان؛ الأول: يشرع بانقطاع الدم كصحة الغسل والصوم وتَرَتُّبِ الصلاة في الذمة، والثاني لا يشرع إلا بالغسل كصحة الصلاة والطواف وجواز اللبث في المسجد، فهل الطلاق من النوع الأول فيصح بمجرد انقطاع الدم؟ أو الثاني فلا يصح إلا بعد الغسل؟ قولان للعلماء.

المراد بالأقراء

قوله: «فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء» أي أذن الله أن تطلق لها النساء، وهذا بيان لمراد الآية وهي قوله تعالى: ««يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ»» قال الحافظ: واستدل به - أي بهذا الحديث- من ذهب إلى أن الأقراء الأطهار، وذلك للأمر بطلاقها في الطُّهر، وقوله: ««فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ»» أي وقت ابتداء عدتهن، وقد جعل الله للمطلقة تربص ثلاثة قروء، فلما نهى عن الطلاق في الحيض، وبيّن أن الطلاق في الطهر هو الطلاق المأذون فيه علم أن الأقراء هي الأطهار. قاله ابن عبدالبر.

هل يقع الطلاق في الحيض؟

قال الإمام ابن القيم: الخلاف في وقوع الطلاق المحرم لم يزل ثابتًا بين السلف والخلف. أي بين علماء الأمة منذ عهد السلف إلى يومنا هذا.

وقد اختلف علماء المسلمين في هذه المسألة على قولين مشهورين؛ الأول: يقع الطلاق في الحيض وهو قول جمهور الفقهاء، قال ابن عبد البر: وعلى هذا فقهاء الأمصار، وجمهور علماء المسلمين وإن كان الطلاق عندهم جميعهم في الحيض مكروهًا بدعةً غير سنةٍ، وقد استدل الجمهور لوقوع الطلاق بأدلة منها:

١- قول النبي ﷺ لما سأله عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن عبد الله ابنه: «مره فليراجعها...» فهذا أمر بالرجعة قالوا: والرجعة لا تكون إلا عن طلاق معتبر.

٢- في رواية أنس بن سيرين لهذا الحديث قال أنس بن سيرين لابن عمر: تُحْتُسَبُ؟ قال ابن عمر: فمه؟

قالوا: أي اسكت فإنها تحتسب. لأن «مه» اسم فعل أمر بمعنى اكفف، أو تكون استفهامية، فيكون استفهامًا إنكاريًا. أي فماذا تكون إن لم تحتسب.

٣- وفي رواية لمسلم: قال: قلت لابن عمر: أفيحسب بها؟ قال: ما يمنعه ؟ أرأيت إن عجز واستحمق؟

٤- وفي رواية لأحمد في المسند قال: قلت لابن عمر: أفتحتسب طلاقها ذلك طلاقًا؟ قال: نعم، أرأيت إن عجز واستحمق؟

٥- كذلك مما استدلوا به من حديث النظر: ما قرره ابن عبد البر وغير واحد من أهل العلم: قال ابن عبد البر: ألا ترى أن الله عز وجل قال في المطلقات: ««وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ»» [البقرة: ٢٢٨]، يعني في العدة، وهذا لا يستقيم أن يكون مثله في الزوجات غير المطلقات.

القول الثاني: عدم وقوع الطلاق في الحيض، وممن قال بذلك أبو محمد بن حزم وشيخ الإسلام ابن تيمية ونقله عنه تلميذه ابن القيم وناقش قول الجمهور، وانتصر

للقول بعدم وقوع الطلاق في الحيض، وقد استدلوا بأدلة، منها:

١- ما رواه أبو داود بالسند الصحيح الثابت أن أبا الزبير سمع عبد الرحمن بن أيمن يسأل ابن عمر، قال أبو الزبير: وأنا أسمع: كيف تري في رجل طلق امرأته حائضًا ؟ فقال: طلَّق ابن عمر امرأته حائضًا على عهد رسول الله ﷺ، فسأل عمر عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: إن عبد الله بن عمر طلق امرأته وهي حائض، قال عبد الله: فردها (أي رسول الله ﷺ) عليَّ ولم يَرَهَا شيئًا.

٢- ما رواه ابن وهب عن جرير بن حازم عن الأعمش أنَّ ابن مسعود رضي الله عنه قال: من طلق كما أمره الله فقد بين الله له، ومن خالف فإنا لا نطيق خلافه.

٣- وقال ابن مسعود رضي الله عنه أيضًا: من أتى الأمر على وجهه فقد بين الله تعالى له، وإلا فوالله ما لنا طاقة بكل ما تحدثون.

٤- ما جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: «كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد». وفي رواية: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد». قالوا: وهذا صريح أن الطلاق المحرَّم الذي ليس عليه أمره ﷺ مردود باطل. فكيف يقال: إنه صحيح لازم نافذ ؟ فأين هذا من الحكم برده؟

٥- واحتجوا أيضًا من حيث النظر؛ بأن النكاح المتيقن لا يزول إلا بيقين مثله من كتاب أو سنة أو إجماع متيقن، فإذا وجد واحد من هذه الثلاثة رفع به حكم النكاح، ولا سبيل إلى ذلك.

٦- واحتجوا أيضًا بأن الطلاق لو كان يقع في الحيض فلماذا رده الرسول ﷺ ؟ وما الفرق حينئذ بينه وبين الطلاق في الطهر ؟

٧- واحتجوا أيضا بقول ابن عمر: «أرأيت» فإنه لو ثبت لدى ابن عمر رضي الله عنهما أنه احتسبها طلقة ما رد السائل إلى الرأي بقوله: «أرأيت» فإن ابن عمر كان أبعد الناس عن الرأي، بل كان أعظم الناس تمسكا بسنن رسول الله ﷺ.

وبعد، فإنك - أخي المسلم - ترى اجتهاد الفريقين.

ولقد أطال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه (زاد المعاد) في إيراد أقوال كل من الفريقين وأدلتهما ومناقشة كل فريق لأدلة الآخر، والغرض من ذلك كله بيان اجتهاد فقهاء الأمة لأمر الله ورسوله، وتحري الحق والصواب حتى تكون الفتوى موافقة لكتاب الله تعالى وسنة رسوله وما ورد عن السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم وأئمة الهدى رحمهم الله جميعًا ورضي عنهم، وألحقنا بهم.

وإذا كانت الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والحال، فإن أحوال الأمة في أمس الحاجة لمثل هذه الاجتهادات، ففي السعة تكون الفتوى على قول الجمهور في مثل هذه المسألة، وإذا ضاقت السبل، وانسدت المخارج أمام المفتي في قضية من قضايا هذا الطلاق، فلا بأس أن يفتي بالقول الآخر وسيكون له فيه سلف، فيكون الميزان حينئذ- كما قال بعض العلماء- قول الجمهور بمثابة العزيمة، وقول ابن حزم ومن معه من قبيل الرخصة، والله أعلم، وهو المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا به.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

عام جديد والأدب المفقود

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعد:

ونحن نودع عامًا ونستقبل عامًا جديدًا، ما أحوجنا إلى أن نتأدب مع الله جل وعلا، فإن الناظر في أحوال كثير من الناس اليوم ليجد أن كثيرًا من الناس قد أساءوا الأدب مع الله سبحانه وتعالى، فإذا خرجتم إلى الطرقات وجدتم فيها الكاسيات العاريات اللاتي خرجن من بيوتهن متبرجات متعطرات وأغضبن رب الأرض والسماوات، وإذا ذهبتم إلى القبور وجدتم فيها الشركيات، وإذا ذهبتم إلى البنوك وجدتم فيها الربويات، وإذا ذهبتم إلى الجامعات وجدتم فيها الاختلاط بين البنين والبنات، وإذا نظرتم في البيوت وجدتم فيها الصور المحرمات والتليفزيونات التي تعرض الأفلام والمسلسلات التي أفسدت أخلاق البنين والبنات، أسواقنا مليئة بالمخالفات لله عز وجل، كل ذلك وغيره إن دل على شيء فإنما يدل على أن كثيرًا من الناس قد أساءوا الأدب مع الله عز وجل، ذي العزة والجبروت والكبرياء والعظمة.

فما أحوجنا إلى أن نتأدب معه سبحانه وتعالى، بأن يلزم المرء نفسه بمراقبة الله جل وعلا في كل لحظة من لحظات الحياة، حتى يتم لها اليقين بأن الله مطلع عليها، رقيب على أعمالها، عالم بأسرارها، وما أحسن قول سفيان الثوري رحمه الله في هذا المقام: عليك المراقبة ممن لا تخفى عليه خافية، وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء، وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة.

وقال ابن المبارك لرجل يوصيه: راقب الله يا فلان، فسأله: ما المراقبة؟ قال: كن أبدًا كأنك ترى الله جل وعلا. وهذا عبد الله بن دينار يقول: خرجت مع ابن عمر إلى مكة، فعرسْنا ببعض الطريق، فانحدر إلينا راع من الجبل، فقال له ابن عمر: يا راعي الغنم بعنا شاة من هذه الأغنام، فقال الرجل: أنا مملوك، فقال له ابن عمر: قل لسيدك أكلها الذئب، فقال الراعي: إن قلت ذلك لسيدي وصدقني، فأين الله؟ ماذا أقول لله جل وعلا؟ فبكى ابن عمر، وذهب إلى سيد الراعي فاشترى منه الأغنام، واشترى العبد وأعتقه، وأهدى له قطيع الأغنام. وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك». [رواه مسلم]

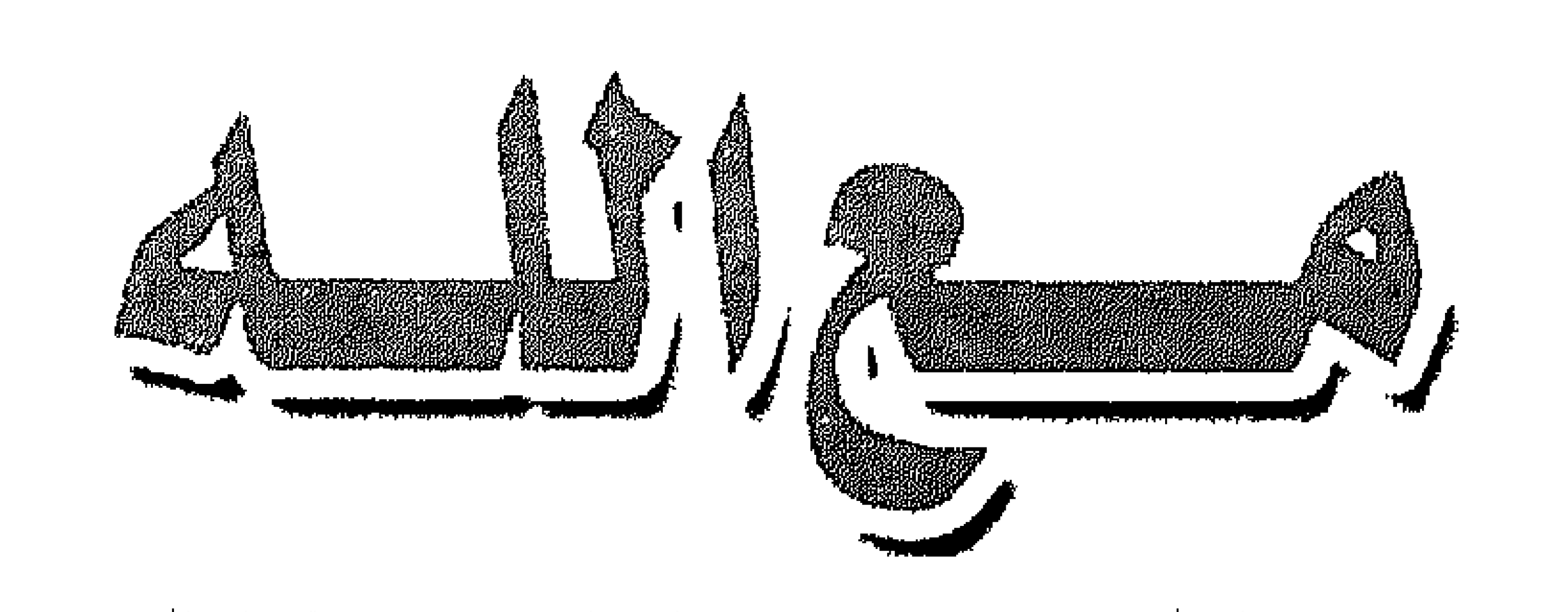
ومن الأدب مع الله سبحانه وتعالى أن يستحي العبد منه في جميع أحواله، قال رسول الله ﷺ: «استحيوا من الله حق الحياء، من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى، وليحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد اسْتَحْيَى من الله حق الحياء». [صحيح الجامع برقم ٩٣٥]

وقال رسول الله ﷺ: «أوصيك أن تستحي من الله كما تستحي من الرجل الصالح من قومك». [صحيح الجامع برقم ٢٥٤١]

وقال النبي ﷺ: «ما كرهت أن يراه الناس منك فلا تفعله إذا خلوت بنفسك». [السلسلة الصحيحة: ١٠٥٥]

فمن سوء الأدب مع الله جل وعلا أن لا يستحي العبد من ربه سبحانه وتعالى وهو يراه ويطلع عليه في جميع شئونه، فلو عرف العبد ذلك لاسْتَحْيَى منه وما فكر في معصيته أبدًا.

ومن الأدب مع الله سبحانه وتعالى: أن ينظر المرء ويتأمل ما لله عليه من نعم لا يستطيع عدها ومن لا يحصيها ولا يطيق شكرها: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل:١٨]، إذ ليس من الأدب كفران النعم، وكل نعمة صغرت أم كبرت فمنه وحده سبحانه لا من أحد سواه، ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ



إعـداد/ صلاح عبد المعبود

اللَّهِ﴾ [النحل:٥٣]، فهو المتفضل على عباده بالرزق والعطاء فهل شكروه على ذلك، وعرفوا فضله ومَنَّهُ وكَرَمَهُ: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح:١٣، ١٤]، فالمسلم يتأدب مع ربه سبحانه وتعالى بأن يجعل لسانه يلهج دائمًا بحمده وبالثناء عليه، ثم يستعمل جوارحه وأعضاءه في طاعته وعبادته.

ومن الأدب مع الله سبحانه وتعالى: أن يحفظ المرء حدود الله وحقوقه وأوامره ونواهيه، ويكون ذلك بالوقوف عند أوامره بالامتثال، وعند نواهيه بالاجتناب، وعند حدوده فلا يتجاوزها ولا يتعداها، قال رسول الله ﷺ لابن عباس يوصيه: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف». [صحيح الجامع برقم ٧٩٥٧] قال ابن رجب رحمه الله: «من حفظ حدود الله وراعى حقوقه حفظه الله، فإن الجزاء من جنس العمل». اهـ.

ومن حفظ العبد ربه أن يحفظه في سمعه فلا يستمع إلى ما يغضب الله من الأغاني الماجنة والموسيقى المحرمة، وأن يحفظه في بصره فلا ينظر إلى المحرمات وأن يحفظه في بطنه فلا يُدْخِل في جوفه مالاً محرمًا أو به شبهة، وأن يحفظه في لسانه فلا يتكلم بما يغضب الله من الغيبة والنميمة والكذب والخوض في الباطل والكلام في أعراض الناس وسائر الآفات، وأن يحفظه في فرجه وسائر جوارحه، وأن يستعملها في طاعة الله قبل أن تشهد عليه يوم القيامة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور:٢٤]، فإذا حفظ العبد ربه حفظه الله جل وعلا، ويكون ذلك بأمرين:

١- حفظه له في مصالح دنياه، كحفظه في بدنه وولده وأهله وماله، وحفظه من مكر الأعداء وكيد الطغاة، وحفظه من شر الدواب والسباع، بل وتسخيرها له.

٢- حفظه سبحانه وتعالى لعبده في دينه وإيمانه، فيحفظه من البدع المضلة والشبهات المردية والشهوات المحرمة، وأن يحفظ عليه دينه عند الموت فيتوفاه على الإسلام.

ومن الأدب مع الله سبحانه وتعالى: ألا يسأل العبد أحدا، ولا يستعين بأحد سوى الله، كما في الحديث السابق: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»، فهو الذي يجيبه إذا دعاه، ويعطيه إذا سأله، ويغفر له إذا استغفره، ويعينه إذا استعان به: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

فإذا كان هو الذي بيده كشف الضر عنك فلماذا تنساه وتهجره، وتتركه إلى غيره؟!

فإذا شكوت الحاجة، فالجأ إلى الغني الذي بيده خزائن السموات والأرض، فهو وحده الذي يعطي ويمنع، ويصل ويقطع، فإذا جافاك العز، وابتدرك الذل، فاطرق باب العزيز.

ومن الأدب مع الله سبحانه وتعالى: أن يحسن العبد الظن بربه جل وعلا، وهو أدب عظيم ينبغي للعبد المؤمن ألا يغفله، فهو من تمام العبادة، وقد أوصى به النبي ﷺ بقوله: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل». [رواه مسلم].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي،

وأنا معه إذا ذكرني، فإذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إليَّ شبرًا، تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إليَّ ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة». [رواه البخاري ومسلم]

بل إن من أعظم الذنوب عند الله إساءة الظن به سبحانه، لأن من يفعل ذلك يناقض أسماء الله وصفاته بما فيها من الجمال والجلال والكمال ولهذا توعد عليه، فقال سبحانه: ﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [الفتح: ٦]، وقال: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ ﴾ [فصلت:٢٣].

ومن الأدب مع الله سبحانه وتعالى: الرضا عنه والتسليم لقضائه، فالرضا عن الله جنة الدنيا ومستراح العابدين، وهذا هو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لما أدخل السجن، كان يقول: ماذا يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، أينما رحت فهي معي، إن معي كتاب الله وسنة نبيه، إن قتلوني فقتلي شهادة، وإن نفوني فنفيي سياحة، وإن سجنوني فسجني خلوة مع ربي، فالمحبوس من حُبس عن ربه وإن الأسير من أسره هواه. وكان رحمه الله وطيب ثراه يردد ذلك رضا بقضاء الله وقدره.

ومن الأدب مع الله سبحانه وتعالى: العمل بكتابه، والتحاكم إلى شرعه:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١]، وقال أيضًا: ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [إبراهيم: ١]، ومن سوء الأدب مع الله جل وعلا، ترك التحاكم إلى شرع الله، قال رسول الله ﷺ: «خمس بخمس: ما نقض قوم العهد إلا سُلِّط عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، ولا ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا المكيال إلا مُنعوا النبات وأُخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حُبس عنهم القطر».

[صحيح الجامع برقم:٣٢٤٠]

وقال النبي ﷺ: «حدٌّ يُعْمَل في الأرض خير لأهل الأرض من أن يُمطروا أربعين صباحًا».

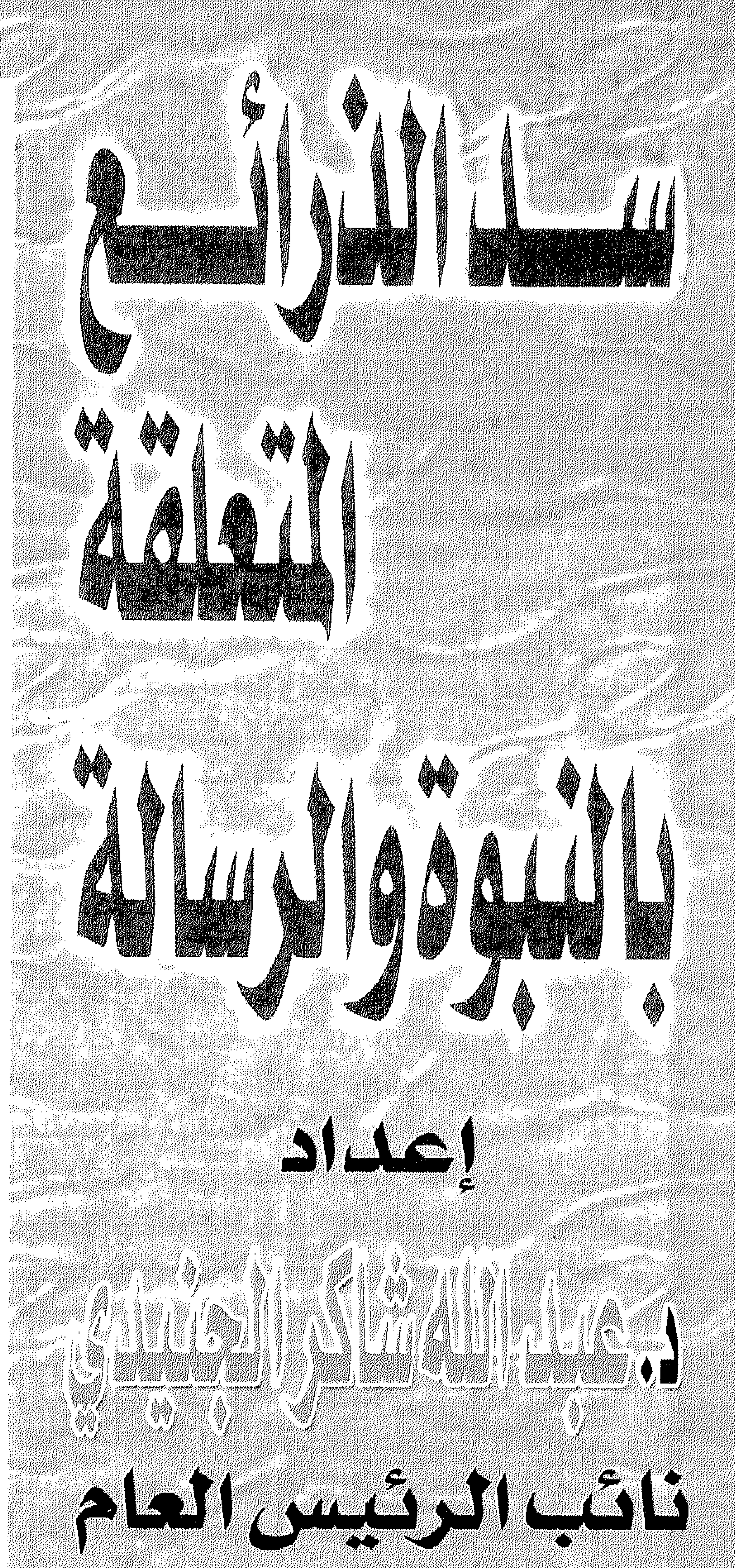
[صحيح الجامع برقم:٣١٣٠]

فالبعد عن القرآن وأحكامه تخلفٌ وانحطاط، والعمل بالقرآن شرف وعلو، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ [الزخرف:٤٤].

ومن الأدب مع الله سبحانه وتعالى: ألا يخاف العبد في الله لومة لائم، وأن يؤثر ربه تبارك وتعالى على جميع الخلق في كل مقام، فمن التمس رضا الله بسخط الناس أرضى الله عنه الناس، ومن التمس سخط الله برضا الناس، أسخط الله عليه الناس، فالعبد إن يك مع الله تعالى وفي طاعته يكفه بائقة الخلق في الدنيا والآخرة، وإن يك مع الخلق في معصية الله تعالى، فإن الله يكِله إلى الخلق، فمن استطاع أن يؤثر الله عز وجل على خلقه في كل مقام فليفعل؛ فهذا عين الأدب مع الله.

ومن الأدب مع الله سبحانه وتعالى: الإقبال على الله جل وعلا، واللجوء إليه في كل حال، قال ابن القيم رحمه الله: «إن في القلب شعثًا لا يلمه إلا الإقبال على الله، وعليه وحشة لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار منه إليه، وفيه نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه وقضائه ومعانقة الصبر على ذلك وقت لقائه، وفيه طلب شديد لا يقف دون أن يكون هو وحده مطلوبه، وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته ودوام ذكره والإخلاص له، ولو أعطي الدنيا لم تُسد تلك الفاقة». اهـ.

فنسأل الله العظيم أن يكون هذا العام الجديد بداية لعهد جديد مع الله جل وعلا، وأن يؤدبنا بالأدب الجميل، إنه نعم المولى ونعم النصير، والله من وراء القصد.



سد الذرائع المتعلقة بالنبوة والرسالة

إعداد
د. عبد الله شاكر الجنيدي
نائب الرئيس العام

اختص الله سبحانه وتعالى أنبياءه ورسله بآيات بينات وبراهين ساطعات تدل على صدقهم وتوجب اتباعهم ويطلق عليها المعجزات، وإن كان الدليل على صدق الأنبياء لا ينحصر في المعجزات، إلا أنها من الأدلة الصحيحة على ثبوت النبوة، وما أجري على يد الأنبياء من المعجزات لا يقع لغيرهم بحال وذلك سدًا لذريعة تكذيبهم، والاختلاف عليهم والكفر بما أرسلوا به، وحتى يتميزوا عن الكاذبين.

يقول ابن تيمية: «ولهذا يجب في آيات الأنبياء أن لا يعارضها من ليس بنبي، فكل ما عارضها صادرًا ممن ليس من جنس الأنبياء فليس من آياتهم، ولهذا طلب فرعون أن يعارض ما جاء به موسى لما ادُّعى أنه ساحر، فجمع السحرة ليفعلوا مثل ما يفعل موسى، فلا تبقى حجته مختصة بالنبوة، وأمرهم موسى أن يأتوا أولاً بخوارقهم، فلما أتت وابتلعتها العصا التي صارت حية، علم السحرة أن هذا ليس من جنس مقدورهم فآمنوا إيمانًا جازمًا». [النبوات: ١٢، ١٣]

ويقول أيضًا: «وخوارق الأنبياء لا يمكن غيرهم أن يعارضها ولا يمكن أحدٌ إبطالها، لا من جنسهم ولا من غير جنسهم، فإن الأنبياء يصدق بعضهم بعضًا، فلا يتصور أن نبيًا يبطل معجزة آخر وإن أتى بنظيرها فإنه يصدقه، ومعجزة كل منهما آية له وللآخر أيضًا، كما أن معجزات أتباعهم آيات لهم بخلاف خوارق السحرة، فإنها تدل على أن صاحبها ساحر، يؤثر آثارًا غريبة مما هو فساد في العالم، ويُسَرُّ بما يفعله من الشرك والكذب والظلم، ويستعين على ذلك بالشياطين، فمقصوده الظلم والفساد، والنبي مقصوده العدل والصلاح، وهذا يستعين بالشياطين، وهذا بالملائكة وهذا يأمر بالتوحيد لله وعبادته وحده لا شريك له، وهذا إنما يستعين بالشرك وعبادة غير الله، وهذا يعظم إبليس وجنوده، وهذا يذم إبليس وجنوده». [المرجع السابق]

والقرآن الكريم هو أعظم معجزات النبي ﷺ وهو المعجزة الباقية إلى يوم الدين، وأهم دليل على ثبوت نبوته ﷺ، وقد تحدى الله به الإنس والجن مجتمعين على أن يأتوا بمثله، فما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

يقول البيهقي: فأما العلم الذي اقترن بدعوته ولم يزل يتزايد أيام حياته، ودام في أمته بعد وفاته، فهو القرآن العظيم، المعجز المبين، وحبل الله المتين، الذي هو كما وصفه من أنزله، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢]، [دلائل النبوة ١/١٠]

ومع تأييد الله لنبيه بالآيات الكثيرة إلا أنه لم يُجب المشركين إلى ما طلبوه من آيات لم يُرد الله أن تكون لهم، وذلك سدًا لذريعة التكذيب بها، فيهلكهم الله، كما هي سنته في ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩].

قال ابن جرير في تفسيره: «يقول تعالى ذكره: وما منعنا يا محمد أن نرسل بالآيات التي سألها قومك إلا أن من كان قبلهم من الأمم المكذبة سألوا ذلك مثل سؤالهم، فلما آتاهم ما سألوا كذبوا رسلهم فلم يصدقوا مع مجيء الآيات فعوجلوا، فلم نرسل إلى قومك بالآيات، لأنا لو

أرسلنا بها إليهم فكذبوا بها سلكنا في تعجيل العذاب لهم مسلك الأمم قبلهم». ثم ساق روايات كثيرة في سبب نزول هذه الآية منها ما ذكره ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبًا، وأن ينحي عنهم الجبال فيزرعوا، فقيل له: إن شئت أن نستأنى بهم، وإن شئت أن نؤتيهم الذي سألوا، فإن كفروا أهلكوا كما أهلك من قبلهم، قال: بل نستأنى بهم، فأنزل الله الآية.

[جامع البيان في تفسير القرآن ١٥/٧٤]

ثانيًا: النهي عن المفاضلة بين الأنبياء سدًا لذريعة الانتقاص من أحدهم

دل القرآن الكريم على أن الله فضل بعض النبيين على بعض كما قال تعالى: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، ومع هذا وردت أحاديث صحيحة تنهى عن تفضيل بعض النبيين على بعض كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «بينما يهودي يعرض سلعته أعطي بها شيئًا كرهه، فقال: لا والذي اصطفى موسى على البشر، فسمعه رجل من الأنصار فقام فلطم وجهه، وقال: تقول والذي اصطفى موسى على البشر والنبي ﷺ بين أظهرنا؟ فذهب إليه فقال: أبا القاسم، إن لي ذمة وعهدًا، فما بال فلان لطم وجهي؟ فقال: لم لطمت وجهه؟ فذكره، فغضب النبي ﷺ حتى رؤي في وجهه، ثم قال: لا تفضلوا بين أنبياء الله، فإنه يُنفخ في الصور فيُصْعَق من في السماوات ومن في الأرض إلا ما شاء الله، ثم يُنفخ فيه أخرى فأكون أول من بُعِثَ، فإذا موسى آخذ بالعرش، فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور، أم بعث قبلي». [متفق عليه]

وعن ابن عباس- رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: «ما ينبغي لعبد أن يقول: إني خير من يونس بن متى، ونسبه إلى أبيه». [متفق عليه]

وهذه الأحاديث لا تعارض آية التفضيل المذكورة آنفًا، وينبغي أن يحمل النهي الوارد فيها عن التفضيل إذا كان على وجه الحمية والعصبية، سدًا لذريعة الانتقاص من المفضول.

قال النووي: قال العلماء: هذه الأحاديث تحتمل وجهين:

أحدهما: أنه ﷺ قال هذا قبل أن يعلم أنه أفضل من يونس، فلما علم ذلك قال: «أنا سيد ولد آدم». [أبو داود ٥/٣٥٤]

والثاني: أنه ﷺ قال هذا زجرًا عن أن يتخيل أحد من الجاهلين شيئًا من حط مرتبة يونس ﷺ.

[شرح النووي على مسلم ١٥/١٣٢]

وقد ذكر القرطبي أقوالاً كثيرة لأهل العلم في هذه المسألة منها: «إنما نهى عن الخوض في ذلك، لأن الخوض في ذلك ذريعة إلى الجدال، وذلك يؤدي إلى أن يذكر منهم ما لا ينبغي أن يذكر ويقل احترامهم عند المماراة». [الجامع لأحكام القرآن ٢/١٠٧٠]

وقال ابن حجر: قال العلماء: «إنما قال ﷺ ذلك تواضعًا، إن كان قاله بعد أن أُعلِم أنه أفضل الخلق، وإن كان قاله قبل علمه بذلك فلا إشكال، وقيل: خص يونس بالذكر لما يخشى على من سمع قصته أن يقع في نفسه تنقيص له، فبالغ في ذكر فضله لسد هذه الذريعة». [فتح الباري ٦/١٠٧٠]

وقال شارح الطحاوية بعد أن ذكر حديث أبي هريرة السابق: «فكيف يجمع بين هذا وبين قوله ﷺ: أنا سيد ولد آدم ولا فخر». فالجواب: أن هذا كان له سبب، لأن التفضيل إذا كان على وجه الحمية والعصبية وهوى النفس كان مذمومًا، بل نفس الجهاد إذا قاتل الرجل حمية وعصبية كان مذمومًا، فإن الله حرم الفخر، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [الإسراء: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، فعلم أن المذموم إنما هو التفضيل على وجه الفخر، أو على الانتقاص بالمفضول».

وقد جاء في أبحاث اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ما يلي: «ومن هذا القبيل تفضيل بعض الأنبياء على بعض، هو نفسه جائز، فقد فضل الله بعضهم على بعض ورفع بعضهم درجات، ولكنه يمنع حينما يجر إلى الفتنة والعصبية، وقد تخاصم مسلم ويهودي في العهد النبوي، ولطم المسلم وجه اليهودي، لأنه أقسم بالذي اصطفى موسى على العالمين، وأقسم المسلم بالذي اصطفى محمدًا على العالمين، فلما بلغت الخصومة خاتم النبيين ﷺ غضب حتى عرف الغضب في وجهه، وقال: «لا تخيروني على موسى». [مسلم ٤/١٨٤٤]، ثم أثنى عليه بما هو أهله، ونهاهم أن يفضلوا بين أنبياء الله سدًا لذريعة الفتن، وحرصًا على وقارهم- صلوات الله وسلامه عليهم- وإذا كانت الدول تشدد في سد الذرائع، وترى ذلك ركنًا من أركان السياسة والأمن والنظام والمعاملات الدنيوية، فإنه في العقائد أخلق وفي مقام النبوة أوجب وأحق». [حكم تمثيل الصحابة ص٤١]

والحمد لله رب العالمين.

مشروع تيسير حفظ السنة

درر البحار من صحيح الأحاديث القصار

ألف حديث كل ثلاث سنوات

الحلقة الخامسة والعشرون

في مشروع حفظ السنة «درر البحار من صحيح الأحاديث القصار» وعلى مدار عامين، تم بفضل الله وحده نشر ٧٢٠ حديثًا.

وفي هذا العام- إن شاء الله- نواصل نشر المرحلة الثالثة من الأحاديث، وعلى مدار ثلاث سنوات بمشيئة الله تعالى نكون قد وصلنا للمرحلة الألفية وهي ألف وثمانون حديثًا مرتبة حسب درجات الصحة بدءًا من المتفق عليه.

٧٢١- «نَهَى رسولُ اللَّه ﷺ عن المُلامَسَةِ[١] والمُنَابَذةِ[٢]». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٧٢٢- «يُنْهَى عن صِيامَيْنِ وبَيعتَيْنِ: الفِطرِ والنَّحر، والمُلامَسَةِ والمُنابذةِ». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٧٢٣- «نَهَى رسولُ اللَّهِ ﷺ عن بَيعِ الثِّمارِ حتى يَبدوَ صَلاحُهَا، نَهى البَائعَ والمُبتاعَ». [متفق عليه من حديث ابن عمر]

٧٢٤- «كَانَ تاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فإذَا رَأى مُعْسِرًا قالَ لِفتْيَانِهِ تجَاوَزُوا عنهُ، لَعَلَّ اللَّهَ أن يَتجَاوزَ عَنَّا، فتَجَاوزَ اللَّهُ عنهُ». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٧٢٥- «مَن اقْتَنَى كلبًا إلا كَلْبَ مَاشيةٍ أو ضَارٍ[٣] نَقَصَ مِن عَمَلِهِ كُل يومٍ قِيراطانِ». [متفق عليه من حديث ابن عمر]

٧٢٦- «لمَّا أُنْزِلَ الآياتُ مِنْ سُورةِ البقرةِ في الرِّبَا خرَجَ النبيُّ ﷺ إلى المسجدِ فقَرَأَهُنَّ على النَّاسِ، ثُمَّ حَرَّمَ تِجَارَةَ الخَمْرِ». [متفق عليه من حديث عائشة]

٧٢٧- «قَاتَلَ اللَّهُ يَهُودًا حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ فَبَاعُوهَا وَأَكَلُوا أَثْمَانَهَا». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٧٢٨- عن عمر قال: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ». قال عُمر: فواللَّهِ ما حَلَفْتُ بها مُنذُ سمعتُ النبيَّ ﷺ، ذَاكرًا ولا آثرًا[٤]. [متفق عليه من حديث عمر]

٧٢٩- عن عِمرانَ بنِ حُصينٍ، أنَّ رجلاً عضَّ يدَ رجلٍ، فنَزَعَ يَدَهُ مِنْ فمهِ فوَقَعَتْ ثَنِيَّتَاهُ، فاخْتَصَمُوا إلى النبيِّ ﷺ فقال: «يَعضُّ أحَدُكُمْ أخَاهُ كَمَا يَعضُّ الفَحْلُ[٥]؟! لا دِيَةَ لَكَ». [متفق عليه من حديث عمران]

٧٣٠- نَهَى النبيُّ ﷺ عَنْ خَاتَمِ الذَّهَبِ. [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٧٣١- عَنْ سَهْلِ بنِ سعدٍ قال: رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ، قال بإصْبَعَيْهِ هَكَذَا بالوُسْطَى والتي تَلِي الإبْهَامَ: «بُعِثْتُ والسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ». [متفق عليه من حديث سهل]

٧٣٢- عن عائشةَ قالت: مَا شَبِعَ آلُ محمدٍ ﷺ، مُنْذُ قَدِمَ المدينةَ مِنْ طَعَامِ البُرِّ[٦]، ثَلاثَ ليالٍ تِبَاعًا، حتى قُبِضَ. [متفق عليه من حديث عائشة]

٧٣٣- عن عائشةَ قالت: «تُوفي النبيُّ ﷺ حينَ شَبِعْنَا مِنَ الأَسْوَدَيْنِ: التمرِ والماءِ». [متفق عليه من حديث عائشة]

٧٣٤- عن عُبيدِ اللَّهِ الخَوْلانيِّ، أنَّهُ سَمِعَ عُثمانَ بنَ عفانَ يقولُ عِندَ قولِ النَّاسِ فيهِ، حينَ بَنَى[٧] مَسْجِدَ الرسولِ ﷺ: إنَّكُمْ أكْثَرْتُمْ[٨]، وإنِّي سمعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ: «مَنْ بَنَى مَسْجِدًا يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ، بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ في الجَنَّةِ». [متفق عليه من حديث عثمان]

٧٣٥- «كلُّ أُمَّتي مُعَافىً إلاَّ المُجَاهِرينَ[٩]، وإنَّ مِنَ المَجَانَةِ[١٠] أنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بالليلِ عَمَلاً ثُمَّ يُصْبِحَ وقد سَتَرَهُ اللَّهُ فيقول: يا فُلانُ عملتُ البارحَةَ كذَا وكذَا وقد بَاتَ يَسْتُرُهُ ربُّهُ ويُصبِحُ يكشفُ سِترَ اللَّهِ عنهُ». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٧٣٦- «خَيْرُ(١١) دورِ الأنصارِ بَنُو النَّجارِ، ثُمَّ بَنُو عبدِ الأشْهَلِ، ثُمَّ بنُو الحارثِ بنِ خَزْرَجٍ، ثُمَّ بَنُو سَاعِدَةَ وفي كُلِّ دُورِ الأنصارِ خيرٌ». [متفق عليه من حديث أبي أُسيد]

٧٣٧- «إنَّ الأشْعَرِيِّينَ إذا أَرْمَلُوا(١٢) في الغَزْوِ، أوْ قَلَّ طَعَامُ عِيالِهم بالمدينةِ، جَمَعُوا مَا كانَ عِنْدَهُم في ثَوبٍ واحدٍ، ثمَّ اقْتَسَمُوهُ بينهُم في إناءٍ واحدٍ بالسَّوِيةِ، فهُم مِنِّي وأنَا مِنهم». [متفق عليه من حديث أبي موسى]

٧٣٨- عَنْ أُمِّ سُلَيم قالَت: يا رسولَ اللهِ أنسٌ خَادِمُكَ، ادْعُ اللهَ له، قال ﷺ: «اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وولدهُ وبارك له فيما أَعْطَيْتَهُ». [متفق عليه من حديث أنس]

٧٣٩- عن مُحمدِ بنِ عَبَّادٍ قال: سألتُ جابرًا: نَهَى رسولُ اللهِ ﷺ عن صَوْمِ يَومِ الجُمعةِ؟ قال: نعم. [متفق عليه من حديث جابر]

٧٤٠- عن حُمَيدِ بنِ عبدِ الرحمنِ، أنَّه سَمِعَ مُعاويةَ بنَ أبي سُفيانَ يومَ عاشوراءَ، عامَ حجَّ، على المِنبرِ، يقولُ: يا أهلَ المدينةِ أينَ علماؤكُم؟ سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: هَذا يومُ عاشوراءَ، ولم يُكتبْ عليكم صيامُهُ، وأنا صَائمٌ، فمَن شاءَ فَلْيَصُمْ، ومَنْ شاءَ فَلْيُفْطِرْ. [متفق عليه من حديث معاوية]

٧٤١- «إذا وُضِعَ عَشَاءُ أحدِكم وأُقيمتِ الصَّلاةُ فابدءُوا بالعَشَاءِ، ولا يَعْجَل حتَّى يَفْرُغَ مِنه». [متفق عليه من حديث ابن عمر]

٧٤٢- كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ يقرأُ علينَا السورةَ، فيها السَّجْدَةُ فَيَسْجُدُ ونَسْجُدُ حتَّى ما يَجِدُ أحدُنَا مَوْضِعَ جَبْهَتِهِ. [متفق عليه من حديث ابن عمر]

٧٤٣- عن أبي رافع قال: «صَلَّيتُ مَعَ أبي هُريرةَ العَتَمَةَ(١٣) فَقَرَأَ: إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ، فَسَجَدَ، فقُلْتُ: مَا هذه؟ قال: سَجَدْتُ بِهَا خَلْفَ أبي القاسمِ ﷺ، فَلا أَزَالُ أَسْجُدُ بِهَا حَتَّى أَلْقَاهُ». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٧٤٤- عَنْ رافعِ بنِ خَديجٍ: «كُنا نُصلِّي مَعَ النبيِّ ﷺ العَصْرَ، فَنَنْحَرُ جَزُورًا فَتُقْسَمُ عَشْرَ قِسَمٍ، فَنَأْكُلُ لحْمًا نَضِيجًا قَبْلَ أنْ تَغْرُبَ الشمسُ». [متفق عليه من حديث نافع]

٧٤٥- «تَفْضُلُ صلاةُ الجميعِ صَلاةَ أَحدِكُمْ وَحْدَهُ بِخَمْسٍ وعشرينَ جُزءًا، وتجتمعُ ملائكةُ الليلِ وملائكةُ النهارِ في صلاةِ الفجرِ». ثم يقولُ أبو هريرةَ: فاقْرءُوا إن شِئْتُم- إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (١٤) [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٧٤٦- «لاَ حَسَدَ(١٥) إلا في اثْنَتَيْنِ: رجلٌ آتاهُ اللهُ مالاً فَسَلَّطَ على هَلَكَتِهِ في الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتاهُ اللهُ الحِكمةَ فهو يَقْضِي بِهَا ويُعلِّمُها». [متفق عليه من حديث ابن مسعود]

٧٤٧- عَن أبي سعيدٍ، قال: أشهدُ على رسولِ اللهِ ﷺ قال: «الغُسْلُ يومَ الجُمعةِ واجبٌ على كلِّ مُحتلِمٍ(١٦)، وأنْ يَسْتَنَّ(١٧) وأنْ يَمسَّ طيبًا، إنْ وَجَدَ». [متفق عليه من حديث أبي سعيد]

٧٤٨- عَن أبي هريرةَ قال: نَعَى لَنَا رسولُ اللهِ ﷺ النَّجَاشِيَّ صَاحِبَ الحَبَشَةِ، اليومَ الذي ماتَ فيه، فقالَ: «اسْتَغْفِرُوا لأخيكُم». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٧٤٩- عَن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ قال: قال النبيُّ ﷺ: «قد تُوفِّي اليومَ رجلٌ صالحٌ مِن الْحَبَشِ فَهَلُمَّ فَصَلُّوا عليه». قال فَصَفَفْنَا، فَصَلَّى النبيُّ ﷺ عليه ونحنُ صُفُوفٌ. [متفق عليه من حديث جابر]

٧٥٠- عن أبي قَتَادَةَ بنِ رِبْعِيٍّ الأنصاري: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ مُرَّ عليه بِجَنَازَةٍ فقالَ: «مُسْتَرِيحٌ ومُسْتَرَاحٌ مِنهُ». قالُوا: يا رسولَ اللهِ ما المُسْتَرِيحُ والمُسْتَرَاحُ مِنهُ؟ قال: «العَبدُ المُؤمنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وأَذَاهَا إِلى رَحْمَةِ اللهِ، والعبدُ الفاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنه العِبَادُ وَالْبِلاَدُ والشَّجَرُ والدَّوَابُّ». [متفق عليه من حديث قتادة]

---

(١) الملامسة: لمس الثوب لا ينظر إليه.

(٢) المنابذة: هي طرح الرجل ثوبه بالبيع إلى رجل قبل أن يقلبه أو ينظر إليه.

(٣) ضارٍ: كلب صيد. (٤) ولا آثرًا: أي حاكيًا عن غيري. (٥) الفحل: الذكر من الإبل. (٦) البر: القمح.

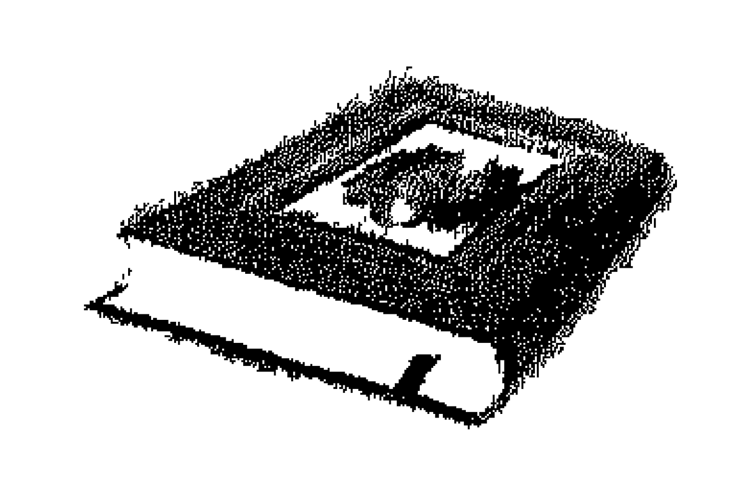
(٧) حين بنى: بالحجارة المنقوشة وجعل عُمُدَهُ من الحجارة، وسقفهُ بالساج، ولم يبن إنشاءً ولكن وسعه وشيَّدَه.

(٨) أكثرتم: أي الكلام في الإنكار على ما فعلته. (٩) المجاهرون: المُعْلِنُون بالفسق لاستخفافهم بحق الله ورسوله.

(١٠) المجانة: عدم المبالاة. (١١) خير دور الأنصار: الخيرية على قدر سبقهم إلى الإسلام.

(١٢) أرملوا: نَفِدَ زادهم. (١٣) العتمة: العشاء. (١٤) كان مشهودًا: أي تشهده الملائكة.

(١٥) الحسد هنا: الغبطة. (١٦) محتلم: أي بالغٌ. (١٧) يستن: أى الاستنان بالسواك.



مختارات من علوم القرآن



فضائل الفاتحة

إعداد/ مصطفى البصراتي



الفاتحة نور أوتيه النبي ﷺ لم يؤته نبي قبله

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضًا (أي صوتًا كصوت الباب إذا فتح) من فوقه، فرفع رأسه، فقال: «هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم». فنزل منه ملك فقال: «هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم» فسلم وقال: «أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك؛ فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته». [رواه مسلم]

في هذا الحديث الشريف يبين لنا النبي ﷺ طرفًا من فضائل سورة الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، فهما نوران أوتيهما النبي ﷺ لم يعطهما أحد قبله، وهما دعاء مستجاب، حيث قيل له ﷺ: «لن تقرأ بحرف منهما إلا أوتيته».

لا تصح الصلاة إلا بقراءتها

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب». [رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه]

قال الإمام النووي رحمه الله: في الحديث وجوب قراءة الفاتحة وأنها متعينة لا يجزئ غيرها عنها إلا لعاجز، وهذا مذهب الشافعي ومالك وجمهور العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم، وقال أبو حنيفة وطائفة معه: لا تجب الفاتحة بل الواجب آية من القرآن لقوله ﷺ: «اقرأ ما تيسر معك من القرآن». [رواه مسلم] ودليل الجمهور: قوله ﷺ: «لا صلاة إلا بأم القرآن» فإن قالوا: المراد لا صلاة كاملة. قلنا: هذا خلاف ظاهر اللفظ ومما يؤيده حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يجزئ صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب». [رواه ابن خزيمة بإسناد صحيح]، وأما الحديث: «اقرأ ما تيسر» فمحمول على الفاتحة فإنها ميسرة أو ما زاد على الفاتحة بعدها، أو على من عجز عن الفاتحة.

والصحيح الذي عليه جمهور العلماء من السلف والخلف: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة لقوله ﷺ للأعرابي: «ثم افعل ذلك في صلاتك كلها».

- وعن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «لعلكم تقرءون والإمام يقرأ؟» مرتين أو ثلاثًا، قالوا: يا رسول الله إنا لنفعل. قال: «فلا تفعلوا إلا أن يقرأ أحدكم بفاتحة الكتاب». أخرجه الإمام أحمد وأخرجه البخاري في القراءة خلف الإمام وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى. والحديث صحيح رواته ثقات، وجهالة الصحابي لا تضر، فالصحابة رضوان الله عليهم كلهم عدول والحديث ذكره ابن حجر في التلخيص وقال: إسناده حسن.

- عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: كنا خلف رسول الله ﷺ في صلاة الفجر فقرأ رسول الله ﷺ، فثقلت عليه القراءة، فلما فرغ قال: «لعلكم تقرأون خلف إمامكم؟» قلنا: نعم هذًا يا رسول الله، قال: «لا تفعلوا إلا بفاتحة الكتاب فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها». ومعنى هذًا: الهذ والهذذ: سرعة القطع وسرعة القراءة. رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان وابن الجارود في المنتقى والحاكم والبخاري في القراءة خلف الإمام والطحاوي في شرح معاني الآثار والبيهقي في السنن الكبرى والبغوي في شرح السنة وإسناده حسن، قال الترمذي: هذا حديث حسن. وقال الدارقطني: هذا إسناد حسن. والحديث ذكره ابن حجر في التلخيص الحبير وقال: أخرجه أحمد والبخاري في جزء القراءة، وصححه أبو داود والترمذي والدارقطني وابن حبان والحاكم والبيهقي.

- عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان يأمر ويحب أن يقرأ خلف الإمام في الظهر والعصر بفاتحة الكتاب وسورة، وفي الأخريين بفاتحة الكتاب. أخرجه البخاري في القراءة خلف الإمام والحاكم وقال: صحيح، وأقره الذهبي، فقال: صحيح. والدارقطني وصححه.

- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «تقرءون خلفي؟» قالوا: نعم إنا لنهذ هذًا، قال: «فلا تفعلوا إلا بأم القرآن». أخرجه البخاري في القراءة خلف الإمام والبيهقي في القراءة خلف الإمام وإسناد الحديث حسن.

قراءة سورة الفاتحة في الصلوات

عن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقرأ في الظهر في الأوليين بأم الكتاب وسورتين، وفي الركعتين الأخريين بأم الكتاب ويسمعنا الآية، ويطول في الركعة الأولى ما لا يطول في الركعة الثانية، وهكذا في العصر، وهكذا في الصبح. [رواه البخاري في كتاب الأذان ومسلم في الصلاة وأبو داود في الصلاة والنسائي وابن ماجه وأحمد]

قال الصنعاني في سبل السلام: في الحديث دلالة على شرعية قراءة الفاتحة في الأربع الركعات في كل واحدة، وقراءة سورة معها في كل ركعةٍ من الأوليين.

وإسماعهم الآية أحيانًا دليل على أنه لا يجب الإسرارُ في السرِّية، وأن ذلك لا يقتضي سجود السهو وفي قوله في الرواية الأخرى: «ويُسمعُ الآية أحيانًا» ما يدل على أنه تكرر ذلك منه ﷺ، وقد أخرج النسائي من حديث البراء قال: «كنا نصلي خلف النبي ﷺ الظهر ونسمَعُ منه الآية من سورة لقمان والذاريات».

الآثار الواردة في قراءة الفاتحة في الصلوات

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «كنا نقرأ في الظهر والعصر خلف الإمام في الركعتين الأوليين بفاتحة الكتاب وسورة، وفي الأخريين بفاتحة الكتاب». أخرجه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة، قال الحافظ المزي في تحفة الأشراف بعد هذا الحديث: موقوف، وقال الإمام البوصيري في مصباح الزجاجة: رجاله ثقات.

- وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: لا تصلين صلاة حتى تقرأ بفاتحة الكتاب في كل ركعة. أخرجه عبد الرزاق في كتاب الصلاة، والطحاوي في شرح معاني الآثار، وإسناده صحيح.

- قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: لا يركع أحدكم حتى يقرأ بأم القرآن. أخرجه البخاري في القراءة خلف الإمام وإسناده حسن.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: في كل صلاة يقرأ، فما أسمعنا رسول الله ﷺ أسمعناكم وما أخفى عنا أخفينا عنكم، وإن لم تزد على أم القرآن أجزأت، وإن زدت فهو خير». رواه البخاري ومسلم.

- عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أم القرآن عوض من غيرها وليس غيرها منها عوض». أخرجه الحاكم في كتاب الصلاة باب أم القرآن عوض من غيرها، ورواته ثقات، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع.

وذكر القرطبي في تفسيره فقال: ومن أسماء سورة الفاتحة: الكافية، لأنها تكفي عن سواها ولا يكفي سواها عنها.

سورة الفاتحة قسمة ربانية مباركة ومناجاة بين العبد وربه

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج» ثلاثًا، غير تمام. فقيل لأبي هريرة: إنا نكون وراء الإمام. فقال: اقرأ بها في نفسك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى: حمدني عبدي. وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله تعالى: أثنى عليّ عبدي، فإذا قال: مالك يوم الدين، قال: مجدني عبدي، وقال مرة: فوض إليّ عبدي- فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين. قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين. قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل». [رواه مسلم]

قال الإمام النووي رحمه الله: قوله سبحانه وتعالى: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين». قال العلماء: المراد بالصلاة هنا الفاتحة، وسميت بذلك لأنها لا تصح إلا بها كقوله ﷺ: «الحج عرفة» ففيه دليل على وجوبها بعينها في الصلاة، قال العلماء: والمراد قسمتها من جهة المعنى، لأن نصفها الأول تحميد لله تعالى وتمجيد وثناء عليه وتفويض إليه والنصف الثاني سؤال وطلب وتضرع وافتقار.

التأمين عقب سورة الفاتحة

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا قال الإمام: ﴿غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ فقولوا: آمين، فإن الملائكة تؤمن، فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه». [رواه البخاري ومسلم]

سورة الفاتحة دعاء أمر النبي ﷺ المصلين أن يقولوا آمين بعد قراءتها، فمن هذا الحديث يتبين لنا استحباب التأمين عقب الفاتحة للإمام والمأموم والمنفرد، وأنه ينبغي أن يكون تأمين المأموم مع تأمين الإمام لا قبله ولا بعده؛ لقوله ﷺ: «وإذا قال: ﴿وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ فقولوا آمين»، وقد أجمعت الأمة على أن المنفرد يؤمن وكذلك الإمام والمأموم في الصلاة السرية، وكذلك الجهرية على رأي الجمهور، ويسن للإمام والمأموم الجهر بالتأمين في الصلاة الجهرية على المذهب الصحيح.

وللحديث بقية إن شاء الله.



الأخوة الإسلامية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فاتّقوا الله وأطيعوه، واخشوا يومًا يجازي الله فيه كلاً بعمله، فلا تظلم نفس شيئًا وإن كان مثقال حبة ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [فاطر:١٨].

أيّها النّاس، إنّ الإسلامَ مبنيٌّ على أن لا نعبدَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، فلا نشرك معه أحدًا في أيّ نوع من أنواع العبادة الظاهرة والباطنة، قال الله تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ [هود:٢]، ومبنيٌّ كذلك على أن لا نعبدَ الله إلاّ بما شرَع، لا نعبده بالبدَع والمحدثات، قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر:٧]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رَسول الله ﷺ: «مَن عمِل عملاً ليس عليه أمرُنا فهو ردٌّ»، و«من أحدَث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ» رواه البخاري ومسلم.

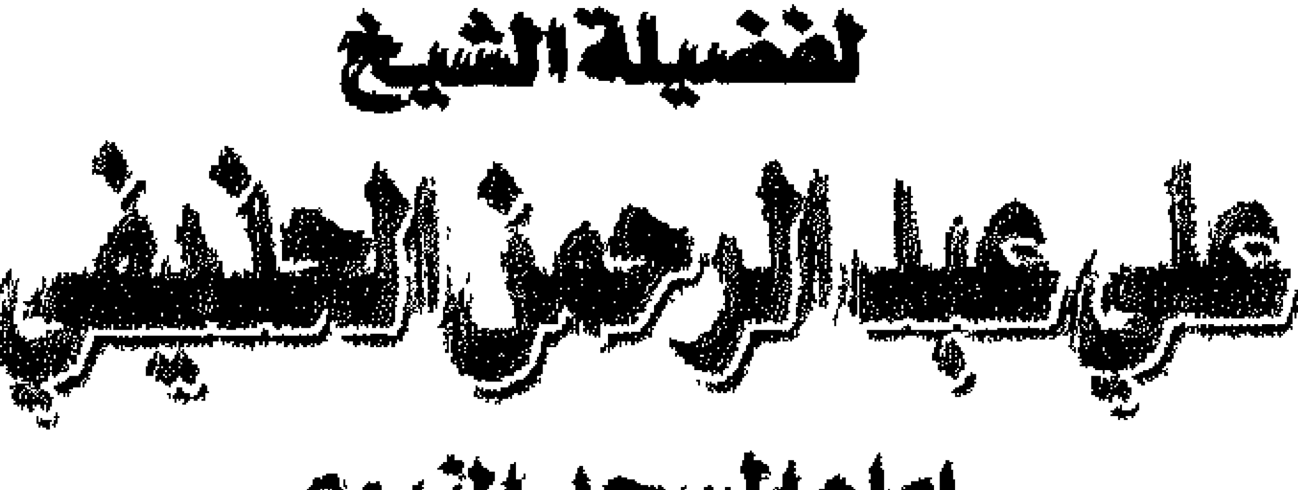
ألاَ وإنّ مِن أصول الدّين أخوّةَ الإسلام، فأخوّةُ الإسلام رابطةٌ متينة ودرع حصينة ونُصرة مبينة، أخوّةُ الإسلام بها يتواصَل المسلمون، وبها يتناصرون ويتقوّون، وبها يتراحمون ويتعاطَفون، وبها يتوارثون، وبها يتعاوَنون، وبها يتناصَحون، ذكرها الله تعالى بعد الأمر بتقواه فقال عزّ وجلّ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠]، وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [التوبة:٧١]، وعن النّعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «مَثَل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثَلُ الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له الجَسَد بالحمّى والسّهَر» رواه البخاري ومسلم، وعن أبي موسى الأشعريّ رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنه قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضًا» [رواه البخاري ومسلم]، وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحاسَدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابَروا، ولا يبع بعضكم على بيع بَعض، وكونوا عبادَ الله إخوانًا، المسلِم أخو المسلم؛ لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يكذبه، ولا يحقره، التقوى ها هنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرّات -، بحسب امرئ من الشرّ أن يحقرَ أخاه المسلم، كلُّ المسلم على المسلمِ حرَام: دمه وماله وعِرضُه» رواه مسلم.

ومن عنايةِ الله العظمى بأخوّة الإسلام أنّ الله أمر بالإصلاح بين المسلمين إذا شجَر بينَهم خلافٌ والقضاءِ علىَ النزاع الذي يقع بينَهم بالعدل والحقّ والقِسط، ومن بغى واعتدَى على الأخوّة الإسلاميّة أمَر الله مَن له قدرة أن يقاتِلَه بقدر ما يندَفع به بغيُه وعدوانه حتى يرجعَ إلى حكم الله تعالى ويدخلَ في حصن الأخوة الإسلاميّة، قال الله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات:٩، ١٠].

ولِعظَم أمر الأخوّة الإسلاميّة آخَى النبيُّ ﷺ بين المهاجرين والأنصار أخوّةً عامّة وأخوّةً خاصّة، فكان يؤاخِي بين المهاجريِّ والأنصاريِّ أوّلَ قدومِه إلى المدينة النبويّة، وكانوا يتوارثون بهذه الأخوّة الإيمانيّة، ثم نسخَ التوارث بالأخوّة الإسلاميّة فصار التوارُث بالقرابة، وأخبرَ النبيّ ﷺ أنّ كمالَ الإيمان أن يحبَّ المسلم لأخيه ما يحبّ لنفسه، فقال: «لا يؤمِن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبّ لنفسه» رواه البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه.

أيّها المسلمون، إنّ الله تعالى لم يؤكّد على تقويةِ أواصر الأخوّة بين المسلمِين ويقوِّ روابطَها إلاّ لإعزاز دين الله تعالى وحمايةِ مصالح المسلمينَ الدينيّة والدنيويّة؛ ولذلك أمر الله بالاجتماع والائتلاف، ونهى عن الفرقة والاختلاف، فقال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران:١٠٣]، وقالَ تعالَى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٦]، ويقول النبيّ ﷺ: «وكونوا عبادَ اللَه إخوانًا».

وإذا اجتمع المسلمون لبحثِ قضاياهم ومشكلاتهم بتوجيهٍ وحضٍّ من دينِهم فهم لا يريدون



الظلمَ والعدوان على أحدٍ؛ لأنّ الإسلامَ ينهى عن العدوان وينهى عن الظلم كما قال تعالى: ﴿وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة:١٩٠].

والإسلام لا يريد للبشريةِ إلاّ الخيرَ والصلاحَ، والمؤمنون خير الناس للناس، وأرحمُ الناس بالناس. وأخوّةُ الإسلام يحمي الله بها العدوانَ على الإسلام، وينصر بها الحقَّ والعدلَ، ويحفظ بها المصالحَ العامّة والخاصّة، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ۝ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الانفال:٦٢، ٦٣]؛ لأنّ الناسَ لا تأتلف قلوبهم ولا يجتمعون إلاّ على الحقّ الذي بعَث الله به محمدًا ﷺ، ويقول تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٩٢]، ويقول ﷺ: «المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمّتهم أدناهم، وهم يدٌ على من سواهم».

في وقتٍ تضعضع فيه حالُ أمّة الإسلام، وهانت على غيرها من الأمم، وتفرّقت كلمتها، وأهملت قضاياها في المحافل الدوليّة، واشتدّ الهجومُ على دينها الإسلاميّ دين العدل والرحمة والخير والسلام للبشريّة، وألصقَ به ما ليس منه، في هذا الوقت تتطلّع شعوب العالم الإسلاميّ إلى قادة هذه الشعوب أن يقفوا صفًا واحدًا لصدّ الهجمات الشّرسة الحاقدة على عقيدة أمّة الإسلام التي هي عقيدةُ رسول الله ﷺ وعقيدةُ الصحابةِ رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسانٍ ومن تبعهم بإحسان، وأن يدافعوا عن هذه العقيدةِ النقيّة المضيئة، وأن يدافعوا عن أخلاق الأمّة أخلاق الفضائل الإسلاميّة والمكرُمات المحمّدية وأن يظهروا وجهَ الإسلام الحقيقيّ لغير المسلمين بما ذكره الله تبارك وتعالى في كتابه وبالاستقامة على دينه، ويبرّئوه من كلّ فريةٍ وبدعة مخالفةٍ لكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، والشعوب الإسلاميّة تتطلّع إلى الأفضل في كلّ شيء، والإصلاح لا يكون إلاّ من داخل الشعوب الإسلاميّة، نابعٌ من القرآن والسنة، بتعاون المجتمعات مع حكّامها وتوافقهم على مصالح الأمّة وتفاهمهم، مع حذرهم من العُنف والفتن المدمّرة التي لا تخدم إلاّ أعداءَ الإسلام، ومع الحرص على تحكيم الشريعةِ الإسلاميّة في كلّ صغيرة وكبيرة.

وللشعوب الإسلاميّة أملٌ ومطلب أن يرحّب قادتُها بنصح العلماء ومشورتهم وتقريبهم في كلّ ما يخدم الدينَ والمجتمع، ومن التحدّث بنعمة الله علينا أنّ بابَ المناصحةِ مفتوح بين العلماءِ وبين ولاةِ الأمر في بلادنا وفّقهم الله، بل بينهم وبين أفرادِ الرعيّة عبرَ قنوات متعدّدَة، فتحقّق بذلك مَصالحُ عظيمَة واندفع مفاسدُ جسيمة ولله الحمد؛ لأنّ الشريعةَ توجب ذلك، وهي مرجع الجميع، قال النبيُّ ﷺ: «الدّين النصيحة، الدّين النصيحة، الدّين النصيحة»، قلنا: لمن؟ قال: «للهِ ولكتابه ولرسولِه ولأئمّة المسلمين وعامّتهم».

[رواه مسلم من حديث تميم الداري رضي الله عنه]

ونَدعوا علماء المسلمين أيضًا إلى تبصير الناس بمنهج سلفِ الأمّة من الصحابة والتابعين ومَن تبعهم بإحسان، والدّعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، وتفقيه الناس وتعليمهم الإسلامَ بالأدلّة من القرآن والسنّة، فلن يصلح آخرُ هذه الأمة إلاّ بما صلح به أوّلها، قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۝ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤-١٠٧].

أيّها المسلمون، إنّ الله تبارك وتعالى ربَط مصالحكم كلّها وسعادةَ دنياكم وآخرتكم بدينكم واستقامتكم عليه، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق:٢،٣]، وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف:١٣]، وعَن سفيانَ بن عبدِ الله رضي الله عنه قال: قلتُ: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا غيرك، قال: «قل: آمنت بالله، ثم استقم» رواه مسلم. واجتماع كلمة المسلمين تتحقّق بها المصالح كلّها، وتنتفي معها المفاسد كلّها، ويندحر بها كيدُ أعداءِ المسلمين.

عبادَ الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦]، وقد قال ﷺ: «مَن صلّى عليّ صلاة واحدة صلّى الله عليه بها عشرًا».

فصلّوا وسلّموا على سيّد الأولين والآخرين وإمام المرسلين. والحمد لله رب العالمين




مسائل في السُّنَّة

الحلقة الحادية عشرة

الحديث الموضوع

إعداد / متولي البراجيلي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد:

تكلمنا في العدد السابق عن الحديث الموضوع وأنواعه، وعن أسباب الوضع في سنة النبي ﷺ، وكيف أن جماعة من الناس على اختلاف مشاربهم وأهوائهم استحلوا الكذب على رسول الله ﷺ، ونستكمل الكلام في هذا العدد- إن شاء الله-.



أولاً: قرائن معرفة الحديث الموضوع

١- الإقرار أو ما نزل منزلته: وذلك بأن يقرَّ راوي الحديث بأنه وضعه على رسول الله ﷺ، كإقرار أبي عصمة نوح بن أبي مريم بأنه وضع حديث فضائل سور القرآن سورة سورة عن ابن عباس- رضي الله عنهما-، أو ما نزل منزلة الإقرار، كما اتفق أنهم اختلفوا بحضرة أحمد بن عبد الله الجوباري في سماع الحسن من أبي هريرة، فروى لهم بسنده إلى النبي ﷺ، قال: سمع الحسن من أبي هريرة.

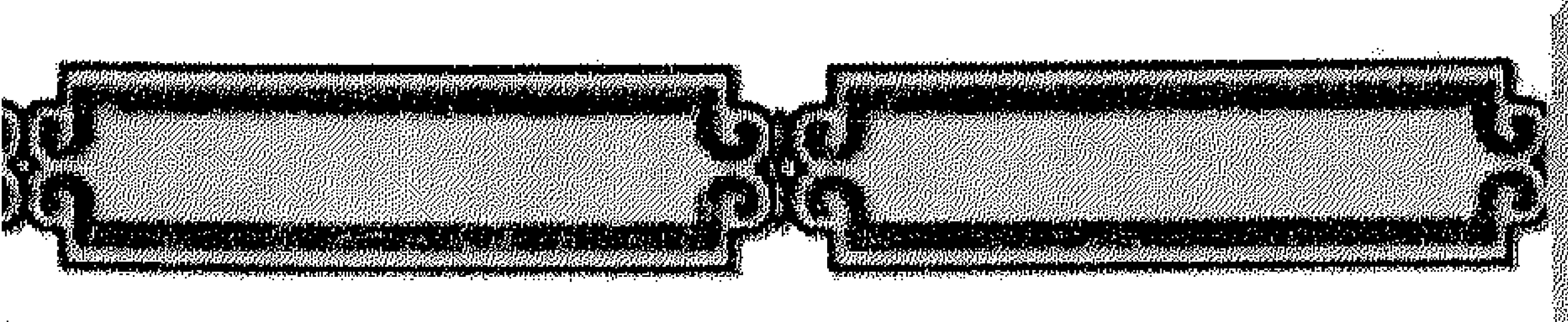
ومثل أن يحدِّث عن شيخ، فيُسألَ عن مولده، فيذكر تاريخًا تكون وفاة ذلك الشيخ قبل مولده هو، ولا يُعرف ذلك الحديث إلاَّ عنده، أو نحو ذلك، كما ادعى مأمون بن أحمد الهروي أنه سمع من هشام بن عمار فسأله الحافظ ابن حبان: متى دخلت الشام؟ قال: سنة خمسين ومائتين، فقال له: فإن هشامًا الذي تروي عنه مات سنة ٢٤٥، فقال: هذا هشام بن عمار آخر.

٢- أن يكون ركيكا لا يُعقل أن يصدر عن النبي ﷺ، فقد وُضعت أحاديث طويلة يشهد لوضعها ركاكة لفظها ومعانيها.

قال الحافظ ابن حجر: المدار في الرِّكَّة على ركة المعنى، فحيثما وُجدت دلت على الوضع وإن لم ينضم إليها ركة اللفظ، لأن هذا الدين كله محاسن والركة ترجع إلى الرداءة، أما ركاكة اللفظ فقط لا تدل على ذلك، لاحتمال أن يكون الراوي رواه بالمعنى فغير ألفاظه بغير فصيح. نعم إن صرح بأنه من لفظ النبي ﷺ فكاذب.

وقد روى الخطيب وغيره من طريق الربيع بن خثيم التابعي الجليل قال: إن للحديث ضوءًا كضوء النهار يعرف، وظلمة كظلمة الليل تنكر.

٣- المخالفة للحس والمشاهدة والعقل: وذلك مثل ما رواه ابن الجوزي من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده مرفوعًا: إن سفينة نوح طافت بالبيت سبعًا وصلَّت عند المقام ركعتين.



وكذلك ما أسنده من طريق محمد بن شجاع الثلجي عن حبان بن هلال عن حماد بن سلمة عن أبي المهزم عن أبي هريرة مرفوعًا: إن الله خلق الفَرَس فأجراها فعرقت فخلق نفسه منها. قال السيوطي في التدريب: هذا لا يضعه مسلم بل ولا عاقل، والمتهم به محمد بن شجاع كان زائغًا في دينه، وفيه أبو المهزم، قال شعبة: رأيته ولو أعطي درهمًا وضع خمسين حديثًا.

لكنَّ هذه القاعدة- وهي الرد بالحس و(العقل) خاصة الرد بالعقل- فيها شيء من الاشتباه، لأن من الناس من يردون الأحاديث الواردة عن الرسول عليه الصلاة والسلام مدّعين أن العقل ينكرها، كحديث احتجاج آدم وموسى عليهما السلام (وهو في الصحيحين)، فإن القدرية أنكروا هذا، وقالوا: إن هذا ينكره العقل فلا يقبله، وكذلك كثير من أحاديث الصفات أنكروها بحجة أن العقل لا يقبلها، فما هو العقل الذي يمكن أن توزن به هذه الأشياء؟ نقول: هو العقل الصريح، وهو السالم من الشبهات والشهوات، أما العقل الفاسد الذي تشوبه الشهوات والتعصب، أو العقل الفاسد الذي تشوبه الشبهات ليس عنده علم وإدراك وتحقيق، فهذا لا عبرة به.

٤- المخالفة لنص في الكتاب[1] أو السنة المتواترة، أو الإجماع القطعي: فالشرع كل متكامل لا يخالف بعضه بعضًا، وهذه القاعدة فيها قيد وهو ألاَّ يقبل شيء من هذه الأحاديث التأويل، فإن قبل التأويل وذلك بأن يجمع بينه وبين ما جاء في القرآن أو السنة المتواترة بوجه مقبول، فإنه لا يحكم بوضعه.

٥- الإفراط في الوعد والوعيد: وذلك بأن يتضمن الحديث وعدًا عظيمًا وثوابًا عميمًا على فعل يسير، أو يتضمن وعيدًا شديدًا على الأمر اليسير، وهذا موجود بكثرة في حديث القصّاص والطرقية، كحديث: من صلى الضحى كذا وكذا ركعة، أعطي ثواب سبعين نبيًا. وكحديث: من اغتسل يوم الجمعة بنية وحسبة كتب الله له بكل شعرة نورًا يوم القيامة، ورفع له بكل قطرة درجة في الجنة من الدر والياقوت والزبرجد، بين كل درجتين مسيرة مائة عام.

مع الاحتراز أنه صحَّ عن النبي ﷺ أحاديث في عظيم الثواب على العمل اليسير، كفضل صيام يوم عرفة، ويوم عاشوراء.

٦- معرفة التاريخ: وهو من القرائن التي تساعد على معرفة الحديث الموضوع، ومثال ذلك أن اليهود والنصارى جاءوا بورقة في القرن الخامس الهجري في أيام الإمام الخطيب البغدادي وقالوا: إن هذه الورقة عن النبي ﷺ وفيها أنه ﷺ أسقط الجزية عن اليهود والنصارى، وقالوا: هذا كتاب من النبي ﷺ وعليه توقيعات أبي بكر، وعمر، وعلي، ومعاوية، وغيرهم.

فلما رأى الخليفة الكتاب دعى العلماء وعرض عليهم الأمر، فقالوا: عليك بالخطيب البغدادي، وكان الكتاب مكتوبًا بتاريخ العام السابع من الهجرة، فأول ما نظر الخطيب في الكتاب، قال: هذا مزور مكذوب، لأن الصحابة الذين وقعوا على الكتاب فيهم معاوية بن أبي سفيان، ولم يسلم إلا في عام الفتح سنة ١٠هـ، والكتاب في سنة ٧ هـ، فأبطل الكتاب وتبين وضعه على رسول الله ﷺ عن طريق معرفة التاريخ.

لذا فالوقوف على تواريخ مواليد ووفيات العلماء من القرائن التي تساعد في معرفة الحديث الموضوع، لذلك قال سفيان الثوري: لما استعمل الكذبوان من الزنادقة والمبتدعة الكذب على النبي ﷺ استعملنا لهم التاريخ.

٧- كذب الراوي: وهذا كقصة غياث مع المهدي لما دخل على المهدي وهو يلعب بالحمام فروى له حديث: «لا سبق إلا في نصل أو خف أو حافر، أو جناح» وكيف أنه أراد أن يجامل المهدي فزاد في حديث رسول الله ﷺ ما ليس منه، وهو قوله: أو جناح.

٨- **الانفراد:** وهو أن يتفرد الراوي عمن لم يدركه بما لم يوجد عند غيرهما، أو انفراده بشيء مع كونه فيما يلزم المكلفين علمه وقطع العذر فيه، كما قرره الخطيب في أول الكفاية، أو بأمر جسيم تتوفر الدواعي على نقله.

وهذا بالطبع ممن لا يحتمل حاله التفرد فيما يرويه.

٩- **كون الراوي رافضيا** والحديث في فضائل أهل البيت مثل حديث: علي خير البشر من شك فيه كفر.

١٠- **ومن القرائن** أن يصرح الجمع الكثير الذين يمتنع في العادة تواطؤهم على الكذب أو تقليد بعضهم بعضًا بأن هذا الحديث موضوع على رسول الله ﷺ.

ثانيًا: من أمثلة الواضعين

قال النسائي: الكذابون المعروفون بوضع الأحاديث أربعة: ابن أبي يحيى بالمدينة، والواقدي ببغداد، ومقاتل بخراسان، ومحمد بن سعيد المصلوب بخراسان.

وهذا بالتأكيد ليس على سبيل الحصر، فهناك غيرهم ممن كذبوا على رسول الله ﷺ: كأبي عصمة نوح بن أبي مريم وكان يُلقب بنوح الجامع، قال ابن حبان: جمع كل شيء إلا الصدق.

وميسرة بن عبد ربه الذي وضع أحاديث من قرأ كذا فله كذا كذا، وأبو داود النخعي الذي كان من أطول الناس قيامًا وصيامًا وكان يضع الحديث، ووهب بن حفص قال فيه ابن عدي: كان وهب من الصالحين مكث عشرين سنة لا يكلم أحدًا وكان يكذب كذبًا فاحشًا، وعبد الكريم بن أبي العوجاء الذي قتل وصلب في زمن المهدي، قال ابن عدي: لما أُخذ ليضرب عنقه قال: وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال وأحلل الحرام، وكبيان بن سمعان [illegible] قتله خالد القسري وأحرقه بالنار، وكمحمد بن القاسم الكايكاني وكان من رؤوس المرجئة وكان يضع الحديث على مذاهبهم... إلى غير ذلك ممن تذخر بهم كتب الرجال والتواريخ.

ثالثًا: حكم رواية الحديث الموضوع

يحرم رواية الحديث الموضوع، لما رواه مسلم: «من حدث عني حديثًا يُرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين». [مقدمة صحيح مسلم].

وأما روايته لبيان حاله والتحذير منه فلا بأس.

رابعًا: حكم العمل بالحديث الموضوع

بالقطع فإن الحكم هو التحريم، وأمَّا قول بعض الكرَّامية، وبعض المتصوفة جواز العمل به فلا قيمة لقولهم، فهو كعدمه.

وكيف لا والحديث الموضوع أشر أنواع الحديث، فقد رتبها الحافظ ابن حجر في النخبة وشرحها فقال: الموضوع، ثم المتروك، ثم المنكر، ثم المعلل، ثم المدرج، ثم المقلوب، ثم المضطرب. وهذا عام في جميع المعاني سواءً الأحكام أو القصص والترهيب والترغيب وغيرها.

خامسًا: هل يدخل في الكذب الرواية بالمعنى؟

اختلف العلماء في جواز رواية حديث النبي ﷺ بالمعنى، فمنعها الكثيرون من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من رواة الحديث والتزموا أداء الأحاديث بألفاظها، وجوزها غيرهم لمن كان عالمًا عارفًا بالألفاظ والأساليب خبيرًا بمدلولاتها والفروق الدقيقة بينها، وأجازوها على أنها رخصة فتقدر بقدر الحاجة إليها لا على أنها أصل يتبع ويلتزم في الرواية.

وقد اتفقوا على أن الرواية بالمعنى ممنوعة في الأحاديث المتعبد بلفظها كالأذكار والأدعية وجوامع كلمه ﷺ.

مع اعتبار أن الذين نقلوا الأحاديث من الصحابة ومن بعدهم من ثقات الرواة كان لهم من الخصائص الدينية والنفسية والخلقية ما يعصمهم من التغيير والتبديل والتساهل في الرواية، وأن القواعد التي أخذ جامعو الأحاديث بها أنفسهم عند تدوينها هي أدق وأرقى ما وصل إليه علم النقد في تمييز

المقبول من المردود من المرويات.

وهذا يدلُّ على أن الكثير من الأحاديث النبوية وصلت إلينا بمحكم لفظها، وأن بعض الأحاديث قد رويت بالمعنى مع التحرز البالغ من التغيير المخل بالمعنى الأصلي.

ومن ثم فلا يدخل في الكذب الرواية بالمعنى، لكن يشترط أن يكون عالمًا بالشرع واللغة.

سادسًا: من أمثلة الأحاديث الموضوعة

١- كان رسول الله ﷺ إذا خرج من الغائط قال: الحمد لله الذي أحسن إليَّ في أوله وآخره.

٢- الشعر في الأنف أمان من الجذام.

٣- أول من يُكسى بعد النبيين والشهداء: بلال، وصالحو المؤمنين.

٤- من لم يستح بما قال أو قيل له فهو لغير رشده حملته أمه على غير طهر.

٥- لا أحب أن يبيت المسلم جنبًا؛ إني خشيت أن يموت فلا تحضر الملائكة جنازته.

٦- الفقراء مناديل الأغنياء، يمسحون بها ذنوبهم.

٧- الآيات بعد المائتين. (قال البخاري: قد مضى مائتان ولم يأت من الآيات شيء).

٨- إذا كان سنة ستين ومائة كان الغرباء في الدنيا أربعة: قرآن في جوف ظالم، ومصحف في بيت قدري لا يقرأ فيه، ومسجد في نادٍ لا يصلون فيه، ورجل صالح بين قوم سوء.

قال في تدريب الراوي: ومن الموضوع أيضًا حديث الأرز، والعدس، والباذنجان، والهريسة، وفضائل من اسمه محمد وأحمد، وفضل أبي حنيفة، وعين سلوان، وعسقلان، إلا حديث أنس الذي في مسند أحمد على ما قيل فيه من النكارة، ووصايا عليّ، وضعها حماد بن عمرو النصيبي، ووصية في الجماع وضعها إسحاق بن نجيح الملطي، ونسخة العقل [أحاديث تتكلم عن فضل العقل كلها كذب] وضعها داود بن المُحَبَّر، والحديث الطويل عن ابن عباس في الإسراء أورده ابن مردويه في تفسيره.

سابعًا: من أمثلة الكتب المصنفة في الموضوع

«الأباطيل» للجوزقاني، و«الموضوعات» لابن الجوزي، و«الفوائد المجموعة» للشوكاني، و«سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» للألباني، و«النافلة في الأحاديث الضعيفة والباطلة» للحويني، وكذلك الكتب المؤلفة في الضعفاء مثل: «الكامل في الضعفاء» لابن عدي... إلخ.

ثامنًا: كتاب الموضوعات لابن الجوزي

قال العلماء: إن ابن الجوزي متسرع في الحكم على الحديث بالوضع، وقد حكم على حديث أبي هريرة مرفوعًا: إن طالت بك مدة أوشك أن ترى قومًا يغدون في سخط الله، ويروحون في لعنته، في أيديهم مثل أذناب البقر. والحديث في صحيح مسلم.

وقد ألَّف الحافظ ابن حجر كتاب: «القول المسدَّد في الذب عن مسند أحمد»، ذكر فيه أربعة وعشرين حديثًا من مسند أحمد ذكرها ابن الجوزي في الموضوعات، وحكم عليها بذلك، ورد عليه ابن حجر ودفع قوله.

قال الذهبي: ربما ذكر ابن الجوزي في الموضوعات أحاديث حسانًا قوية.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

هامش:

(١) مثل قصة الغرانيق المفتراة التي تناقض أساس الملة وتنافي قواعد الدين، ولقد نسفها الشيخ الألباني منذ أكثر من ثلاثين سنة في رسالة سماها: نصب المجانيق....

مراجع البحث: «تدريب الراوي» للسيوطي، «فتح المغيث» للسخاوي، «النكت على نزهة النظر» لعلي حسن عبد الحميد، «تيسير مصطلح الحديث» للطحان، «تيسير علوم الحديث» لعمرو بن عبد المنعم، «شرح نزهة النظر» لابن عثيمين، تيسير دراسة الأسانيد لعمرو بن عبد المنعم، «شرح علل الحديث» لمصطفى العدوي، «دفاع عن السنة» لابن أبي شهبة، «صقل الأفهام الجلية» لمصطفى سلامة، «النافلة في الأحاديث الضعيفة الباطلة» للحويني (١، ٢).



حقيقة الزهد

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

نتناول فيما يلي بعض محاسن الأخلاق التي يجب على المسلم أن يتحلى بها، ومن هذه الأخلاق الزهد.

أولاً: المعنى:

الزهد لغة: هو القلة في كل شيء، والشيء الزهيد هو القليل، وإنسان مُزهد أي قليل المال، والزهيد هو قليل المطعم، ومنه قول الله عز وجل: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ [يوسف: ٢٠]، ومنه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفضل الناس مؤمن مزهد»، والزهد ضد الرغبة، ففلان يزهد في الشيء أي يرغب عنه، يقول الكفوي في الكليات: الزهد خلاف الرغبة.

الزهد اصطلاحًا: قيل الزهد هو بغض الدنيا والإعراض عنها، وهو ترك راحة الدنيا طلبًا لراحة الآخرة، وعرفه الجرجاني فقال: «هو أن يخلو قلبك مما خلت منه يدك». ويعرفه ابن تيمية فيقول: «الزهد ترك الرغبة فيما لا ينفع في الدار الآخرة وهو فضول المباح فيما يستعان به على طاعة الله»، ويعرفه ابن الجوزي فيقول: «هو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه». ومثال ذلك ترك الدنيا لحقارتها بالنسبة إلى نفاسة الآخرة، ومعنى ذلك أن من رغب عن شيء وليس مرغوبًا فيه ولا مطلوبًا في نفسه لا يسمى زاهدًا، ويقول ابن القيم عنه: «الزهد سفر القلب من وطن الدنيا وأخذه منازل الآخرة».

ثانيًا: متعلق الزهد:

ومتعلقات الزهد خمسة أشياء وهي:

١- **المال:** وليس المراد من الزهد في المال رفضه، وإنما نعم المال الصالح للعبد الصالح، فالمال قد يكون نعمة إذا أعان صاحبه على طاعة الله سبحانه وتعالى وأنفقه في رضوان الله، فعلى سبيل المثال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه كان من أصحاب الأموال وكان يستخدم ذلك المال في طاعة ربه، أما المال الذي يفسد صاحبه فيدفعه إلى الطغيان فإن ذلك المال يكون نقمة على صاحبه، يقول الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ [العلق:٦-٧].

٢- **الملك والرياسة:** ليس المراد من الزهد أيضًا رفض الملك والرياسة، فسليمان وداود عليهما السلام كانا من أزهد الناس في زمانهما، ولهما من الملك ما أخبرنا الله عز وجل، كذلك يوسف عليه السلام قال: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ١٠١].

وإنما الملك الذي يطغى صاحبه هو الذي نهى الله عنه، يقول سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ [البقرة:٢٥٨].

٣- **الصورة:** فليس من الزهد أن يكون الرجل أشعث أغبر، لا يحسن ما يلبس، ففي الحديث: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر». قال رجل: يا رسول الله، إني أحب أن يكون ثوبي نظيفًا ونعلي نظيفة أذاك من الكبر؟ قال: «لا، الكبر بطر الحق وغمط الناس». [رواه مسلم]

٤- **ما في أيدي الناس:** ويقصد بذلك الزهد عما في أيدي الناس وعدم استشرافه أو التطلع إليه، وفي هذا يقول ﷺ: «ازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس»، فإن جاء من الناس للعبد شيء بدون استشراف نفس فلا بأس به.

٥- **النفس:** ويقصد بذلك عدم عجب المرء بنفسه فيظن أن سيخرق الأرض، أو يبلغ الجبال طولاً، فيتكبر بمنصبه أو بما أعطاه الله من صورة على خلق الله، وإنما يتواضع ويخفض جناحه للمؤمنين، كما أمر الله نبيه ﷺ: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر:٨٨]

ثالثًا: حقيقة الزهد:

قال العلماء: «هو انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه، فهو إذًا يستلزم مرغوبًا عنه ومرغوبًا فيه خير من المرغوب عنه، والمرغوب عنه لابد أن يكون مرغوبًا فيه بوجه من الوجوه».

رابعًا: أقسام الزهد وأحكامه:

وقد قسم العلامة ابن القيم الزهد إلى أربعة أقسام في مدارج السالكين:

١- زهد في الحرام: وهو فرض عين على كل مسلم.

٢- زهد في الشبهات: ويكون حكمه بحسب مواطن الشبهة، فإن قويت التحق بالواجب، وإن ضعفت التحق بالمستحب.

٣- زهد في الفضول: وهو مستحب.

٤- زهد في كل ما يشغل عن الله: هو الجامع الشامل لكل ما سبق.

خامسًا: ما يعين على الزهد:

قسم ابن رجب في جامع العلوم والحكم ما يعين على الزهد إلى:

أ- علم العبد أن الدنيا ظل زائل وخيال زائر، فهي كما قال تعالى: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد:٢٠].

ب- علم العبد أن وراء الدنيا دارًا أعظم منها قدرًا وأجل وهي دار البقاء.

جـ- معرفة العبد وإيمانه الحق بأن زهده في الدنيا لا يمنعه شيئًا كتب له منها وأن حرصه عليها لا يجلب له ما لم يُقْضَ له منها.

آيات في الزهد

قوله تعالى: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ [يوسف: ٢٠].

وقوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [طه: ١٣١].

وقوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [الشورى: ٢٠].

سادسًا: ورد أيضًا الزهد في كثير من الأحاديث، منها:

١- ما رواه البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة».

٢- ما رواه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ: ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ قال: «يقول ابن آدم: مالي مالي، قال: وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت».

٣- ما رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة، إن أعطي رَضِيَ، وإن لم يُعطَ لم يرضَ».

٤- ما رواه البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، وقد كان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك.

٥- ما رواه ابن ماجه في سننه وصححه الألباني من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: أتى النبيَّ ﷺ رجل وقال له: دلني على عمل إذا أنا عملته أحبني الله وأحبني الناس؟ فقال رسول الله ﷺ: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس».

٦- ما رواه ابن ماجه في سننه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تزهد في الدنيا وتذكر في الآخرة».

ثامنًا: أمثلة تطبيقية في الزهد من حياة الرسول ﷺ:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا».

٢- عن عائشة رضي الله عنها قالت: إنا كنا آل محمد لنمكث شهرًا ما نستوقد بنار إن هو إلا التمر والماء.

٣- وعنها قالت كان فراش رسول الله ﷺ من أدم وحشوه ليف.

٤- وعنها قالت: مات رسول الله ﷺ وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين.

٥- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: نام رسول الله ﷺ على حصير فأثر في جنبه، فقلت: يا رسول الله، لو اتخذنا لك وطاء فقال:« مالي وما للدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت ظل شجرة ثم رحل وتركها».

٦- وعن أنس رضي الله عنه قال: لم يأكل النبي ﷺ على خوان حتى مات وما أكل خبزًا مرققًا حتى مات.

تاسعًا: من أقوال السلف الواردة في الزهد:

١- قال ابن مسعود رضي الله عنه: الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها جمع من لا علم له.

٢- وعن محمد بن كعب القرظي قال: إذا أراد الله بعبد خيرًا أزهده في الدنيا وفقهه في الدين وبصره بعيوبه.

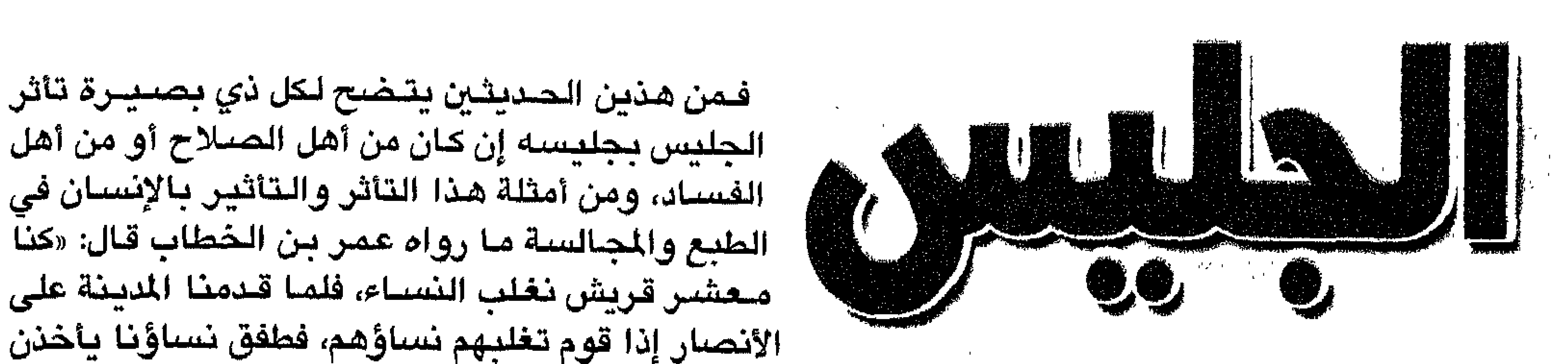
٣- عن الربيع بن سليمان عن الشافعي قال: يا ربيع، عليك بالزهد، فالزهد على الزاهد أحسن من الحلي على المرأة الناهد.

٤- قال سفيان الثوري: الزهد في الدنيا هو قصر الأمل، ليس بأخذ الغليظ ولا لبس العباءة.

وخلاصة القول قول الحق عز وجل في سورة «الحديد»: ﴿ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾.

والله الموفق والهادي إلى سواء الصراط.

إعداد
أسامة سليمان



الجليس السوء

إعداد
شوقي عبد الصادق

الحمد لله خلق الناس فمنهم كافر ومنهم مؤمن والله بما يعملون بصير، والصلاة والسلام على البشير النذير والسراج المنير، وبعد:

ففي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبةً، ونافخ الكير إما أن يُحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة». [اللؤلؤ والمرجان برقم ١٦٨٧]، ويقول أيضًا فيما رواه أبو هريرة وأخرجه أحمد وأبو داود والترمذي بسند حسن صحيح: «الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل».

فمن هذين الحديثين يتضح لكل ذي بصيرة تأثر الجليس بجليسه إن كان من أهل الصلاح أو من أهل الفساد، ومن أمثلة هذا التأثر والتأثير بالإنسان في الطبع والمجالسة ما رواه عمر بن الخطاب قال: «كنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة على الأنصار إذا قوم تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار فصخبت عليَّ امرأتي فراجعتني فأنكرتُ أن تراجعني، قالت: ولم تنكر أن أراجعك؟ فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه». [فتح الباري ج٩ رقم ٥١٩١]

والشاهد من الحديث تأثر نساء المهاجرين بأدب نساء الأنصار، فبعد أن كن لا يراجعن أزواجهن في مكة أصبحن يراجعنهم في المدينة لأنهن جالسن نساء الأنصار، وكذلك قوله تعالى: ﴿ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٩٧]، فالأعراب سكان البوادي أشد كفرًا ونفاقًا من كفار المدينة ومنافقيها لأن الآخرين يساكنون الصحابة والرسول ويُجالسونهم، بخلاف منافقي البادية فإنهم لا يجالسون الرسول والصحابة ولا يسمعون منهم ولا يتأثرون بهم فكانوا أشد كفرًا ونفاقًا.

ويتأثر الإنسان بطبعه كذلك بالحيوان كما روى الشيخان من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «رأس الكفر نحو المشرق، والفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل والفدادين أهل الوبر، والسكينة في أهل الغنم». [اللؤلؤ والمرجان برقم ٣٣]

ومعنى الفدّادين: الأعراب أهل الجفاء من رعاة الإبل الذين يعيشون بالبادية، وهم الذين تعلو أصواتهم في إبلهم وخيلهم وحروثهم ونحو ذلك، ووجه ذمهم شغلهم بما هم فيه عن أمر دينهم.

ونقول- والله أعلم-: فالجمل والفرس يمشيان رافعي رؤوسهما إلى أعلى فيؤثر ذلك والله أعلم في صاحبه كبرًا وعجبًا، والشاة ساكنة متواضعة خافضة الرأس لأسفل بحثًا عن طعامها حتى تسمى في عرف عالم الحيوان بالحيوانات الكانسة فيؤثر ذلك في صاحبها سكونًا وتواضعًا.

وأمثلة التأثر بالجمادات أنك تجد من يركب سيارة رخيصة متواضعة لا يتعاظم في نفسه ولا يتكبر مثل الذي يركب سيارة فارهة باهظة الثمن فيتعاظم في نفسه ويتأثر بمركوبه وملبوسه ومأكوله ومشروبه.

من كل ما سبق يتبين تأثر الجليس بجليسه، فإن كان جليسًا سيئًا كان خطرًا على جليسه وخطر جلساء السوء متنوع ومتعدد الصور، وصوره هي:

١- جلساء السوء يزينون لك الباطل ويحببونه إليك، وتدبر في ذلك قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ

رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، فهذا الجليس السوء- شيطان الإنس- يوحي إلى جليسه زخرف القول فيسمي له الشرك ودعاء الأولياء من دون الله توسلا إلى الله تعالى، وربما استدل بقوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة:٣٥]، ويجعل دعاء آل بيت النبي والاستغاثة بهم والذبح لهم والنذر لهم والطواف حول قبورهم هو المودة المرادة من قوله تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى:٢٣]، كذلك يسمون الحرام بغير اسمه، فيسمى الربا مرابحة وعائدًا استثماريًا، ويسمى الخمر بالمشروب الروحي أو المنشط، والمخادنة والخلوة المحرمة بالصداقة البريئة وهكذا.

٢- جلساء السوء يصرفونك عن الخير ويزهدونك فيه:

يؤخذ هذا من قوله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة:٤٧]، وجليس السوء يجعل جليسه بدلاً من أن يأخذ الكتاب والسنة بقوة يجعله يتهاون فيهما لما يسمعه منه من استهزاء، بل ربما سمع منه الكفر، والله تعالى يقول: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠].

٣- جلساء السوء يشككونك فيما أنت عليه من الحق:

وشاهد ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٢]، كذلك من تشكيك جلساء السوء قولهم: عدم صلاحية الشريعة للتطبيق كاملة في هذا الزمان وخصوصًا الحدود فيها، أو أن أسلمة الاقتصاد وتطهيره من الربا يؤدي ذلك إلى الفقر!

٤- جلساء السوء هم جند الشيطان وأولياؤه:

وكاشف ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧- ٢٩]، فهذا الظالم لنفسه جاءه الذكر وعرف أنه الحق ولكن خليله كان من أولياء الشيطان وحزبه فاضله.

٥- جلساء السوء يغررون بجلسائهم ويمنونهم الأماني الكاذبة.

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [العنكبوت: ١٢].

٦- جلساء السوء يحبون لجلسائهم الزيغ والغواية:

لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ٨٩].

فمن أراد لنفسه وأهله السلامة فلا يجالس أهل الفواحش والشهوات ولا أهل النفاق والبدعة والشرك؛ لأنهم يريدون أن يميل معهم ميلاً عظيمًا.

٧- جلساء السوء يجعلونك تستصغر أعمالك السيئة وتتجرأ على المعاصي:

وصدق حذيفة رضي الله عنه فيما رواه البخاري قال: «إنكم تعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر إن كنا لنعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات».

حال جلساء السوء يوم القيامة

وأما في الآخرة فإن ثمرة مجالسة أهل السوء هي التلاعن والتخلي والبراءة كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ﴾ [الأعراف:٣٨]، وقوله: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (٦٧) يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الزخرف: ٦٧، ٦٨].

وجليس السوء قد يكون إنسانًا شاخصًا، وقد يكون كتابًا مشحونًا بالشركيات والضلالات والبدع والإسرائيليات والأكاذيب على الله ورسوله، وقد يكون مجلة أو جريدة حوت الصور الفاضحة، وقد يكون فلمًا يعرض القاذورات سواء عن طريق الأرضيات أو الفضائيات، وكل هذه الأشياء السيئة الجلوس معها إما أن يحرق الثياب وأعظم هذه الثياب هو التقوى التي يتزيّى بها العبد كما في قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾.

وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة، نعوذ بالله من فعل السوء وقول السوء والجليس السوء، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

واحة

من نور كتاب الله
حرمة الأشهر الحرم

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة:٣٥].

من هدي رسول الله ﷺ
قضاء حوائج المسلمين

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في المسجد شهرا، ومن كف غضبه ستر الله عورته ومن كظم غيظا ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رضى يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل». [حسن: صحيح الجامع]

فضل شهر المحرم

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أفضل الصلاة بعد المكتوبة الصلاة في جوف الليل وأفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم». [صحيح مسلم]

فضل صيام عاشوراء

عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم عاشوراء فقال: «يكفر السنة الماضية». [صحيح مسلم]

سبب صيام عاشوراء

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قدم المدينة، فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله ﷺ: ما هذا اليوم الذي تصومونه؟ قالوا: هذا يوم عظيم، أنجى الله فيه موسى وقومه، وغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكراً. فنحن نصومه، فقال رسول الله ﷺ: «فنحن أحق وأولى بموسى منكم». فصامه رسول الله ﷺ، وأمر بصيامه. [صحيح مسلم]

من فضائل الصحابة

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: أما أنت يا جعفر فاشبهت خَلْقي وخُلُقي، وأما أنت يا علي فمني وأنا منك، وأما أنت يا زيد فأخونا ومولانا. [مسند أحمد برقم ٧٧٠]

من دعائه ﷺ

عن أبي اليَسَر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يدعو فيقول: «اللهم إني أعوذ بك من الهرم والتردي والهدم والغم والحرق والغرق وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت وأن أقتل في سبيلك مدبرا وأعوذ بك أن أموت لديغا». [سنن النسائي]

حكم ومواعظ

عن أبي حازم قال: كل نعمة لا تقرب من الله جل و عز فهي بلية.

عن ابن السماك قال: أصبحت الخليقة على ثلاثة أصناف: صنف من الذنب تائب موطِّنٌ لنفسه على هجران ذنبه، لا يريد أن يرجع إلى شيء من سيآته هذا المبرِّزُ، وصنف يذنب ثم يندم ويذنب ويحزن ويذنب ويبكي هذا يرجى له ويخاف عليه، وصنف يذنب ولا يندم ويذنب ولا يحزن ويذنب ولا يبكي فهذا الحائد عن طريق الجنة إلى النار.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لا تنظروا إلى صلاة أحد و لا إلى صيامه و لكن انظروا إلى من إذا حدَّث صدق و إذا ائتُمن أدى...

وعن أبي العالية قال: أنتم أكثر صياماً و صلاة ممن كان قبلكم و لكن الكذب قد جرى على ألسنتكم. [شعب الإيمان]

التوحيد

إعداد/ علاء خضر

علامات التاجر الأمين

عن ذي النون قال: ثلاثة من أعلام الخير في التاجر: ترك الذم إذا اشترى والمدح إذا باع خوفاً من الكذب، وبذل النصيحة للمسلمين حذراً من الخيانة، والوفاء في الوزن إشفاقاً من التطفيف، وثلاثة من أعلام الخير في المكاسب: حفظ اللسان، وصدق الوعد، وإحكام العمل. [شعب الإيمان]

نصائح للنساء

احرصي على عدم تعليق التمائم من الخرز الأزرق أو حدوة الحصان أو الودع أو الكف (خمسة وخميسة) أو قرن الفلفل أو الحذاء القديم أو الأحجبة علي باب المنزل أو داخله أو في السيارة اعتقاداً منك أن ذلك يمنع الحسد فاعلمي أن ذلك من الشرك، أعاذنا الله منه.

من آثار المعاصي
خلو القلب من تعظيم الله عز وجل

لو تمكن وقار الله وعظمته في قلب العبد لما تجرأ على معاصيه، وربما اغتر المغتر وقال: إنما يحملني على المعاصي حسن الرجاء وطمعي في عفوه لا ضعف عظمته في قلبي، وهذا من مغالطة النفس، فإن عظمة الله تعالى وجلاله في قلب العبد وتعظيم حرماته يحول بينه وبين الذنوب، والمتجرئون على معاصيه ما قدروه حق قدره وكيف يقدره حق قدره أو يعظمه أو يكبره أو يرجو وقاره ويجله من يهون عليه أمره ونهيه!، هذا من أمحل المحال وأبين الباطل وكفى بالعاصي عقوبة أن يضمحل من قلبه تعظيم الله جل جلاله وتعظيم حرماته، ويهون عليه حقه. [الجواب الكافي]

احذر مصائد الشيطان

إن الشيطان يجلب على القارىء بخيله ورَجِله حتى يشغله عن المقصود بالقرآن وهو تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد به المتكلم سبحانه وتعالي فيحرص بجهده على أن يحول بين قلبه وبين مقصود القرآن فلا يكمل انتفاع القارىء به، فأُمر (أي القارئ للقرآن) عند الشروع أن يستعيذ بالله عز وجل منه. [إغاثة اللهفان]

من الطب النبوي

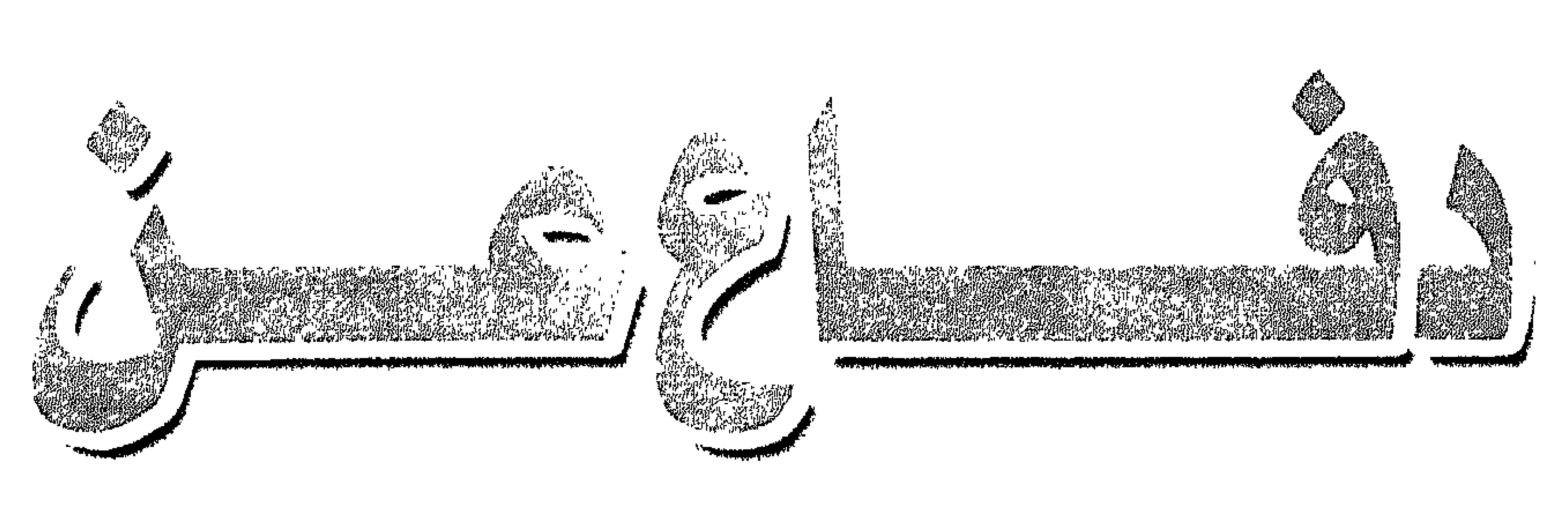
عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «الشفاء في ثلاث: شربة عسل وشرطة محجم وكية نار، وأنا أنهى أمتي عن الكي». [صحيح البخاري]

متناقضات في الحياة

عجيب هذا العصر الذي نعيش فيه، أصبح المعروف منكرًا والمنكر معروفا، يرفع من ذكر أهل الجهل والباطل باسم حرية الفكر و العقيدة، ويحط من قدر العلم والعلماء، فالذي يشكك الناس في السنة ويرد الحديث الصحيح ليس إلا لأنه يخالف عقله أو هواه نراه متصدرا للصحافة والإعلام متحدثا في المنتديات، يقول هذا تنوير! أمَّا المتمسك بالسنة الذاب عنها فلا يفسح له المجال ولا يبرز في المحافل والمناسبات وإن تحدث قالوا: متطرف، رجعي، منغلق. وصدق المصطفي ﷺ حيث قال: «سيأتي على الناس سنوات خداعات يُصدَّق فيها الكاذب ويُكَذَّب فيها الصادق ويُؤْتمن فيها الخائن ويُخَوَّن فيها الأمين وينْطِق فيها الرويبضة». قيل: وما الرويبضة؟ قال: الرجل التافه يتكلم في أمر العامة». [مسند أحمد]

من بلاغة العرب

عن الأصمعي قال: قيل لأعرابي ما أحسن ثناء الناس عليك؟ قال: بلاء الله عندي أحسن من مدح المادحين و إن أحسنوا، و ذنوبي أكثر من ذم الذامين وإن أكثروا، فيا أسفى فيما فرطت، ويا سوأتي فيما قدمت. [شعب الإيمان]



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

فقد توالت الطعنات وتتابعت الضربات عبر وسائل الإعلام المرئية والمقروءة والمسموعة هجومًا على سنة النبي ﷺ من أعداء السنة على اختلاف مشاربهم، ولأن الباطل قد يجد من يسمع له ويصغي، خاصةً وأن القوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا فيُلَبِّسُون على الناس دينهم، ويُفسدون عليهم عقائدهم، الأمر الذي يستدعي من أهل السنة والجماعة التصدي لهذه الهجمة الشرسة دفاعًا عن السنة والذَّب عنها، والتأكيد على حُجيتها وكونها مصدرًا للتشريع وإبطال دعوى الاستغناء عنها بالقرآن.

ونسوق في هذا المقال الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة التي تدل على حجية السنة النبوية وبيان منزلتها ومكانتها كمصدر للتشريع وأنها وحي كالقرآن، كما قال النبي ﷺ: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله». [إسناده حسن أخرجه أحمد في مسنده برقم (١٧٢١٣)] فنقول مستعينين بالله عز وجل:

الأدلة من القرآن الكريم

أولا: دلت آيات القرآن الكريم على وجوب الإيمان بالنبي ﷺ واتباعه والرضى بحكمه:

١ - قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات:١].

قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها: «لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة».

[رواه ابن جرير في «التفسير» (١١٦/٢٦)]

وقال سفيان - رحمه الله -: «دعوا السنة تمضي، لا تعرضوا لها بالرأي». [إعلام الموقعين (٧٨/١)]

وقال ابن القيم - رحمه الله -: (أي: لا تقولوا حتى يقول، ولا تأمروا حتى يأمر، ولا تفتوا حتى يفتي، ولا تقطعوا أمرًا حتى يكون هو الذي يحكم فيه، ويُمضيه). [السابق (٥٤/١)]

٢ - وقال عز وجل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥].

عن عروة قال: (خَاصَمَ الزُّبَيْرُ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ فِي شِرَاجٍ مِنَ الحَرَّةِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ أَرْسِلِ المَاءَ إِلَى جَارِكَ». فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ؟ فَتَلَوَّنَ وَجْهُهُ، ثُمَّ قَالَ: «اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ احْبِسِ المَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الجَدْرِ، ثُمَّ أَرْسِلِ المَاءَ إِلَى جَارِكَ». واستوعى النبي ﷺ للزبير حقه في صريح الحكم حين أحفظه الأنصاري، وكان أشار عليهما بأمرٍ لهما فيه سَعة. قال الزبير: فما أحسب هذه الآية نزلت إلا في ذلك: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥]). [رواه البخاري (٤٥٨٥)]

ثانيا: السنة تبين القرآن وتوضحه:

١ - قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:٤٤].

فصح أن كلام رسول الله ﷺ كله في الدين وحي من عند الله - عز وجل -، لا شك في ذلك، ولا خلاف بين أحد من أهل اللغة والشريعة في أن كل وحي نزل من عند الله فهو ذكر منزل، فالوحي كله محفوظ بحفظ الله - تعالى - له بيقين، وكل ما تكفل الله بحفظه فمضمون ألا يضيع منه، وأن لا يحرف منه شيء أبدًا تحريفًا، لا يأتي البيان ببطلانه. اهـ.

[الإحكام ١٠٩/١]

٢ - وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة:٢].

٣ - وقال عز وجل: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٤].



إعداد/ معاوية محمد هيكل

عطف الله الحكمة على الكتاب، وذلك يقتضي المغايرة، وأنها ليست إياه، ولا يصح أن تكون شيئًا آخر غير الكتاب والسنة؛ لأن الله تعالى امتنَّ علينا بتعليمها، والْمَنُّ لا يكون إلا بما هو صواب، وحق مطابق لما عنده، فتكون الحكمة واجبة الاتباع كالكتاب، خصوصًا وأن الله قد قرنها به، (وسنة رسول الله ﷺ مُبَيِّنَةٌ عن الله معنى ما أراد، دليلا على خاصِّه وعامِّه، ثم قرن الحكمة بها بكتابه، فأتبعها إياه، ولم يجعل هذا لأحد من خلقه غير رسوله). اهـ. [انظر: الرسالة ص٧٨-٧٩].

قال الشافعي - رحمه الله -: (سمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سنة رسول الله ﷺ). اهـ. [الرسالة ص٧٨]

قال ابن القيم - رحمه الله -: (والكتاب هو القرآن، والحكمة هي السنة باتفاق السلف، وما أخبر الرسول ﷺ عن الله - سبحانه - فهو في وجوب تصديقه والإيمان به، كما أخبر به الرب - تعالى - على لسان رسوله ﷺ، هذا أصل متفق عليه بين أهل الإسلام، لا ينكره إلا من ليس منهم). اهـ. [الروح ص١٠٥]

ثالثا: وجوب طاعة النبي ﷺ طاعة مطلقة وأن طاعته طاعة لله تعالى:

١ - قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٢].

٢ - وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران:٣٢].

٣ - وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال:٢٠].

٤ - وقوله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء:٥٩].

قال ميمون بن مهران: «الرد إلى الله الرد إلى كتابه، والرد إلى رسوله إن كان حيًا، فإن قبضه الله إليه فالرد إلى السنة». [تفسير الطبري (١٥١/٥)]

قال الحافظ في الفتح: (فكأن التقدير: أطيعوا الله فيما نص عليكم القرآن، وأطيعوا الرسول فيما بَيَّنَ لكم من القرآن، وما ينصه عليكم من السنة، أو المعنى: أطيعوا الله فيما أمركم به من الوحي المتعبد بتلاوته، وأطيعوا الرسول فيما يأمركم به من الوحي الذي ليس بقرآن). اهـ.

[فتح الباري (١١١/١٣)]

قال الطيبي: (أعاد الفعل في قوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ إشارة إلى استقلال الرسول بالطاعة، ولم يعده في أولي الأمر إشارة إلي أنه يوجد فيهم من لا تجب طاعته). اهـ. [فتح الباري: ١٣/١١١-١١٢]

رابعا: وجوب اتباع النبي وأن اتباعه لازم لمحبته:

دلت آيات القرآن الكريم على وجوب اتباع النبي ﷺ في جميع ما يصدر عنه؛ والتاسي به في ذلك، وعلى أن اتباعه لازم لمحبة الله تعالى. فمن ذلك:

١ - قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١]

٢ - وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١].

٣ - وقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦-١٥٧].

خامسًا: السنة وحي كالقرآن الكريم:

١ - قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم:٣، ٤].

قال ابن القيم - رحمه الله -: (ولم يقل: «وما ينطق بالهوى»؛ لأن نفي نطقه عن الهوى أبلغ؛ فإنه يتضمن أن نطقه لا يصدر عن هوى، وإذا لم يصدر عن هوى فكيف ينطق به؟ فتضمن نفي الأمرين: نفي الهوى عن مصدر النطق، ونفيه عن نفسه، فنُطقه بالحق، ومصدره الهدى والرشاد لا الغي والضلال). اهـ. [بدائع التفسير (٤/٢٧٦)]

الأدلة من السنة النبوية

قد ورد في السنة من الأدلة ما يدل دلالة قاطعة على حجية السنة الشريفة؛ فمنها:

١ - ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس كتب عليكم الحج»، قال: فقام الأقرع بن حابس فقال: أفي كل عام يا رسول الله؟ فقال: «لو قُلتها لوجبت، ولو وجبت لم تَعْمَلُوا بها، ولم تستطيعوا أن تَعْمَلُوا بها، الحج مرة، فمن زاد فهو تطوع». [أخرجه الإمام أحمد في المسند (١/٢٥٥) وصححه الشيخ أحمد شاكر]

٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة». [رواه البخاري (٨٨٧)]

٣ - وعن أبي رافع رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «لا أُلْفِيَنَّ أحدَكم مُتَّكِئًا على أريكتِهِ، يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به، أو نهيت عنه، فيقول: لا أدري، ما وجدناه في كتاب الله اتَّبَعْنَاهُ». [أخرجه الإمام أحمد (٦/٨) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٨٤٩)]

٤ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله». [أخرجه البخاري (٧١٣٧)]

٥ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى»، قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى». [أخرجه البخاري (٧٢٨٠)]

٦ - وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه مرفوعًا: «وإنه من يَعِشْ منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ». [صحيح أخرجه الترمذي (٢٦٧٦)]

٧ - وعنه ﷺ قال: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم». [رواه مالك في الموطأ]

فَعلَّقَ ﷺ العصمة من الضلال على التمسك بالقرآن والسنة معًا، وما عُلِّق على شرطين لا يتم بأحدهما، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾ [النور:٥٤]، وقال عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِينًا﴾ [الأحزاب:٣٦]؛ فمن ثَمَّ يجب القطع بضلال من جحد حجية السنة، وادَّعى الاقتصار على القرآن الكريم، كما هو شعار المبتدعة في كل عصر ومصر، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم».

[جزء من أثر رواه مسلم، (٢٥٦)، (٦٥٤)]

٨ - وقال أيوب السختياني: (إذا حدثت الرجل بسنة، فقال: «دعنا من هذا، وأنبئنا عن القرآن»، فاعلم أنه ضال). [حجية السنة ص٣٣٢]

إنَّ فَصْلَ السنة عن القرآن يفتح المجال للمبتدعة كي يفسدوا معاني القرآن الكريم ما شاءوا أن يُفسدوا، دون أن يُجابَهوا بما يبينها من السنة الشريفة، وما أكثر النصوص القرآنية العامة، أو المطلقة، التي يستدل بها المبتدعون إذا فُهمت بمعزل عن السنة التي تفسرها، وتبينها بيانًا يتعين المصير إليه.

٩ - وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «نَضَّرَ الله امْرَأً سمعَ منا حديثا، فحفظه، حتى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حامل فِقْهٍ إلى من هو أَفْقَهُ مِنه، وَرُبَّ حامل فقه ليس بفقيه». [أخرجه الإمام أحمد (٥/١٨٣)]

وقد روى ابن عباس رضي الله عنهما قول النبي ﷺ لوفد عبد القيس، بعد أن أمرهم بأربع، ونهاهم عن أربع: «احفظوه، وأخبروا من وراءكم».

[أخرجه الإمام أحمد (١/٤٣٧)]

وقد توعد رسول الله ﷺ من يتعمد الكذب عليه بتبوءِ مقعده من النار، وحذر من ذلك أشد التحذير، وما ذاك إلا لأنه - أي الكذب عليه - مستلزم لتبديل الأحكام الشرعية، واعتقاد الحرام حلالاً، والحلال حرامًا.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون في آخر الزمان دجالون كذابون، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم، لا يضلونكم ولا يفتنونكم».

[رواه مسلم (١/٩٥)]

قال عمر رضي الله عنه: «سيأتي ناس يجادلونكم بشبهات القرآن، فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله». [سنن الدارمي (٤٩/١)]

ولما أرسل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ابن عباس رضي الله عنهما إلى الخوارج قال له: «اذهب إليهم فخاصمهم، ولا تحاجهم بالقرآن؛ فإنه ذو وجوه، ولكن خاصمهم بالسنة». [حجية السنة ص٣٢٩]

وعن عمران بن الحصين رضي الله عنه: (أنهم كانوا يتذاكرون الحديث، فقال رجل: دعونا من هذا وجيئونا بكتاب الله، فقال عمران: إنك أحمق؛ أتجد في كتاب الله الصلاة مفسرة؟ أتجد في كتاب الله الصيام مفسرًا؟ إن القرآن أحكم ذلك، والسنة تفسره). [جامع بيان العلم (١١٩٢/٢)]

وأخرج مالك عن ابن شهاب عن رجل من آل خالد ابن أُسيد: أنه سأل عبد الله بن عمر فقال: يا أبا عبد الرحمن، إنا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في القرآن، ولا نجد صلاة السفر؟ فقال ابن عمر: يا ابن أخي، إن الله عز وجل بعث إلينا محمدًا ﷺ، ولا نعلم شيئًا فإنما نفعل كما رأيناه يفعل). [الموطأ ص١٠٩]

وأخرج البيهقي في «المدخل» من طريق شبيب بن أبي فضالة المكي، أن عمران بن حصين رضي الله عنه ذَكَرَ الشفاعة، فقال رجل من القوم: «يا أبا نجيد، إنكم تحدثوننا بأحاديث، لم نجد لها أصلا في القرآن»، فغضب عمران، وقال للرجل: قرأتَ القرآن؟ قال: نعم، قال: فهل وجدت فيه صلاة العشاء أربعًا، ووجدت المغرب ثلاثًا، والغداةَ ركعتين، والظهر أربعًا، والعصر أربعًا؟ قال: لا. قال: فعمن أخذتم ذلك؟! ألستم عنا أخذتموه، وأخذناه عن رسول الله ﷺ؟! أوجدتم فيه: في كل أربعين شاةٍ شاة، وفي كل كذا بعير كذا، وفي كل كذا درهم كذا؟ قال: لا، قال: فعمن أخذتم ذلك؟! ألستم عنا أخذتموه، وأخذناه عن النبي ﷺ؟! قال: في القرآن ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج:٢٩]، أوجدتم فيه: فطوفوا سبعًا، واركعوا ركعتين خلف المقام؟ أوجدتم في القرآن: «لا جَلَبَ ولا جَنَبَ، ولا شِغَارَ في الإسلام»؟!.

أما سمعتم الله قال في كتابه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر:٧]، قال عمران: «فقد أخذنا عن رسول الله ﷺ أشياء ليس لكم بها علم».

[حجية السنة ص٣٣٠-٣٣١]

وذكر ابن عبد البر في كتابه (جامع بيان العلم)، عن عبد الرحمن بن يزيد: أنه رأى محرمًا يحج، وعليه ثيابه، فقال: ائتني بآية من كتاب الله تنزع ثيابي، قال: فقرأ عليه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر:٧].

وثبت عن ابن مسعود رضي الله عنه أن امرأة جاءت إليه، فقالت له: أنت الذي تقول: «لَعَنَ الله النامصات والمتنمصات والواشمات»... الحديث؟ قال: نعم، قالت: فإني قرأت كتاب الله من أوّله إلى آخره، فلم أجد فيه ما تقول، فقال لها: إن كنتِ قرأتيه لقد وجدتيه، أما قرأتِ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾؟! قالت: بلى، قال: فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لعن الله النامصات»... [رواه البخاري (٤٨٨٦)]

قال ابن حزم - رحمه الله - في المحلى ٢٠٠/٢: «في أي قرآن وجد أن الظهر أربع ركعات، وأن المغرب ثلاث ركعات، وأن الركوع على صفة كذا، والسجود على صفة كذا، وصفة القراءة فيها والسلام، وبيان ما يُجْتَنَبُ في الصوم، وبيان كيفية زكاة الذهب والفضة، والغنم والإبل والبقر، ومقدار الأعداد المأخوذة منها الزكاة، ومقدار الزكاة المأخوذة، وبيان أعمال الحج؛ من الوقوف بعرفة، وصفة الصلاة بها، وبمزدلفة، ورمي الجمار، وصفة الإحرام، وما يجتنب فيه، وقطع السارق، وصفة الرضاع المحرم، وما يحرم من المآكل، وأحكام الذبائح والضحايا، وأحكام الحدود، وصفة وقوع الطلاق، وأحكام البيوع، وبيان الربا، والأقضية، والتداعي، والأيمان، والأحباس، والعمرى، والصدقات، وسائر أنواع الفقه؟

وإنما في القرآن جمل لو تُركنا وإياها لم ندر كيف نعمل بها، وإنما المرجوع إليه في كل ذلك النقلُ عن النبي ﷺ، وكذلك الإجماع إنما هو في مسائل يسيرةٍ، فلا بد من الرجوع إلى الحديث ضرورة، ولو أن امرأ قال: لا نأخذ إلا ما وجدنا في القرآن لكان كافرًا بإجماع الأمة، ولكان لا يلزمه إلا ركعة ما بين دلوك الشمس إلى غسق الليل، وأخرى عند الفجر؛ لأن ذلك هو أقل ما يقع عليه اسم صلاة، ولا حَدَّ للأكثر في ذلك، وقائل هذا كافر مشرك، حلال الدم والمال). اهـ.

وبعد فقد بان للأمة مكانة السنة ومنزلتها في التشريع، فهل يتوقف سيل الضلالات والانحرافات عبر الفضائيات والصحف والمجلات التي تهاجم سنة النبي ﷺ؟ وهل يرتدع العلمانيون وأشباههم عن غيهم وضلالهم، هذا ما نأمله ونرجوه.

والله تعالى من وراء القصد.

ما يُستحب في لباس الرجال

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

١. لبس القميص:

يستحب للرجال لبس القميص؛ لأنه أستر للعورة وأكمل في الزينة، وقد كان القميص أحب اللباس إلى رسول الله ﷺ.

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ القميص. وفي رواية لأبي داود: لم يكن ثوب أحب إلى رسول الله ﷺ من القميص.

قال ابن القيم: ولبس القميص- ﷺ- وكان أحب الثياب إليه وكان كمه إلى الرسغ.

٢. اللباس الأبيض:

اللون الأبيض من خير الألوان وأحبها إلى النفس وهو دليل الصفاء والنقاء.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «البسوا من ثيابكم البياض؛ فإنها من خير ثيابكم، وكفنوا فيها موتاكم، وإن من خير أكحالكم الإثمد يجلو البصر وينبت الشعر». [أخرجه أحمد والترمذي وغيرهما وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٣٦)]

قال أبو الطيب: والحديث يدل على استحباب لبس البيض من الثياب وتكفين الموتى بها، قال الشوكاني في النَّيْل: والأمر في الحديث ليس للوجوب؛ أما في اللباس فلما ثبت عنه ﷺ من لبس غيره، وإلباس جماعة من الصحابة وتقريره لجماعة منهم لبس البياض، وأما في الكفن فلما ثبت عند أبي داود، قال الحافظ: بإسناد حسن، من حديث جابر مرفوعًا «إذا توفي أحدكم فوجد شيئًا فليكفن في ثوب حبرة». انتهى.

قال ابن القيم: وكان أحب الألوان إليه البياض، وقال: «هي من خير ثيابكم فالبسوها وكفنوا فيها موتاكم».

والأبيض هو لباس الملائكة المقاتلين مع المسلمين يوم أحد.

عن سعد قال: رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بياض ما رأيتهما قبل ولا بعد، يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام.

وهو أيضاً علامة على صلاح العبد وحسن حاله بعد الموت إذا رآه النائم وعليه ثياب بيض

قال ابن القيم: وسألته ﷺ خديجة رضي الله عنها عن ورقة بن نوفل فقالت: إنه كان صدقك ومات قبل أن تظهر، فقال: «رأيته في المنام وعليه ثياب بيض ولو كان من أهل النار لكان عليه لباس غير ذلك».

٣. لبس أحسن الثياب في الجمعة والعيدين:

السنة أن يغتسل المرء وهو خارج إلى الجمعة والعيدين، ويلبس أحسن ما عنده من الثياب، ويتطيب ويتزين؛ لأنه من باب تعظيم شعائر الله، والأفضل أن يخصص ملابس حسنة جميلة نظيفة للجمعة والعيدين.

قال ابن القيم: يستحب أن يلبس فيه-

أي: يوم الجمعة- أحسن الثياب التي يقدر عليها، فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي أيوب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب، إن كان له، ولبس من أحسن ثيابه، ثم خرج وعليه السكينة حتى يأتي المسجد، ثم يركع، إن بدا له، ولم يؤذ أحدًا، ثم أنصت إذا خرج إمامه حتى يصلي، كانت كفارة لما بينهما» وفي سنن أبي داود عن عبدالله بن سلام رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول على المنبر في يوم الجمعة: «ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته».

وفي سنن ابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ خطب الناس يوم الجمعة فرأى عليهم ثياب النمار فقال: «ما على أحدكم إن وجد سعة أن يتخذ ثوبين لجمعته سوى ثوبي مهنته». [راجع صحيح الجامع: ٥٦٣٥]

قال شيخ الإسلام: ولهذا كان تميم الداري قد اشترى حلة بألف درهم فكان يصلي فيها بالليل. وقال نافع: رآني ابن عمر وأنا أصلي في ثوب واحد، فقال: ألم أكسك؟ قلت: بلى. قال: أرأيتك لو بعثتك في حاجة كنت تذهب هكذا؟ قلت: لا. قال: الله أحق أن تتزين له. [رواه ابن بطة]

ويدل على ذلك قول النبي ﷺ: «فالله أحق أن يستحي منه»، ويستحب له أيضا تخمير الرأس بالعمامة ونحوها؛ لأن النبي ﷺ كان يصلي كذلك، وهو من تمام الزينة، والله تعالى أحق من تزين له.

٤. التواضع في اللباس:

التواضع في كل شيء مطلوب ومرغوب، في الملبوس، والمأكول، والمركوب، والمسكون،


إعداد / محمد فتحي

فمن تواضع لله رفعه، والتواضع سمة المتقين، والإسراف سمة الجهلة والمتكبرين، ولهذا نهى الشارع الحكيم عن لباس الشهرة.

قال ابن القيم: وكذلك لبس الدنيء من الثياب يذم في موضع ويحمد في موضع فيذم إذا كان شهرة وخيلاء، ويمدح إذا كان تواضعًا واستكانة، كما أن لبس الرفيع من الثياب يذم إذا كان تكبرا وفخرا وخيلاء، ويمدح إذا كان تجملاً وإظهارًا لنعمة الله، ففي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان» فقال رجل: يا رسول الله؛ إني أحب أن يكون ثوبي حسنا ونعلي حسنة أفمن الكبر ذاك؟ فقال: «لا إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس».

قال شيخ الإسلام: وكذلك اللباس، كان يلبس القميص والعمامة ويلبس الإزار والرداء ويلبس الجبة والفروج، وكان يلبس من القطن والصوف وغير ذلك، لبس في السفر جبة صوف، وكان يلبس مما يجلب من اليمن وغيرها، وغالب ذلك مصنوع من القطن، وكانوا يلبسون من قباطي مصر وهى منسوجة من الكتان، فَسُنَّته في ذلك تقتضي أن يلبس الرجل ويطعم مما يسره الله ببلده من الطعام واللباس وهذا يتنوع بتنوع الأمصار.

وللحديث بقية إن شاء الله.



الحمد لله خلق الأرض والسماوات العلا، الرحمن على العرش استوى، له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى، والصلاة والسلام على خير من وَطِئَتْ قدماه الثرى نبينا محمد ﷺ، وبعد:

كانت وقفاتنا السابقة مع داود وسليمان عليهما السلام، تحدثنا عن كلا النبيين الكريمين بشيء من التفصيل واستخلصنا الدروس والفوائد من كل موقف، وفي هذه الحلقة بعون الله تعالى وحوله وطوله نتحدث عن حكومة (قضية) حكم فيها داود وسليمان أشار إليها القرآن الكريم، وأخرى أشارت إليها السنة الصحيحة، وإنما أردنا تلكم الوقفة المستقلة مع هاتين القضيتين لما قد يُساء فهمه للوهلة الأولى، فأردنا وقفة فيها متسع لبسط القول وذكر آراء أهل العلم بما يحفظ لكل ذي فضل فضله، والفضل لله أولاً وآخرًا: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾ [الجمعة:٤]، والآن نشرع فيما أردنا الحديث عنه على النحو التالي:

أولاً: قال تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ القَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاً آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (٧٩) وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ (٨٠) وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ (٨١) وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨- ٨٢].

ومعنى الآيات الكريمة: اذكر- يا رسولنا - لقومك خاصة وللناس كافة قصة داود وسليمان عليهما السلام: ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الحَرْثِ﴾- أي حال كونهما يحكمان في الزرع، قيل إنه كان عناقيد تدلت، ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ القَوْمِ﴾ أي انتشرت وتفرقت فيه ليلاً بلا راعٍ فرعته وأفسدته.

قال ابن كثيرٍ - رحمه الله - عند تفسير هذه الآيات نقلاً عن أبي إسحاق عن مرة عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ القَوْمِ﴾، قال كرْم قد أنبتت عناقيده فأفسدته، قال: فقضى داود بالغنم لصاحب الكرم، فقال سليمان: غير هذا يا نبي الله، قال: وما ذاك؟ قال: تدفع الكرْم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان وتدفع الغنم إلى صاحب الكرْم (العنب) فيصيب منها حتى إذا كان الكرْم كما كان دفعت الكرم إلى صاحبه

ودفعت الغنم إلى صاحبها فذلك قوله: ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾. اهـ.

وحتى لا يفهم القارئ من العبارة السابقة تقليلاً من شأن داود عليه السلام عقب ربنا سبحانه وتعالى بعدها مباشرة بقوله: ﴿ وَكُلاً آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾، فداود عليه السلام حكم بالعدل وسليمان عليه السلام حكم بالفضل، وقد أثنى الله على حكمه الذي وفقه إليه لأنه يحب الرفق في الأمر كله كما جاء في الصحيحين عن أمنا عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله». ثم استمرت الآيات الكريمة في بيان ما مَنَّ الله سبحانه به على كل من داود وسليمان فقال تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (٧٩) وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ (٨٠) وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ (٨١) وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾، وقد تناولنا ذلك فيما سبق بما يغني عن إعادته، وخلاصة القول: أن الله سبحانه قد خصَّ كلا من النبيين بما يناسبه من فضل ومنَّة، وإن تميز أحدهما بشيء عن الآخر فليس في ذلك انتقاص من فضل الآخر، وهذا أمر مقرر في الشريعة ولولا خشية الإطالة لأوردنا أدلة كثيرة على ذلك.

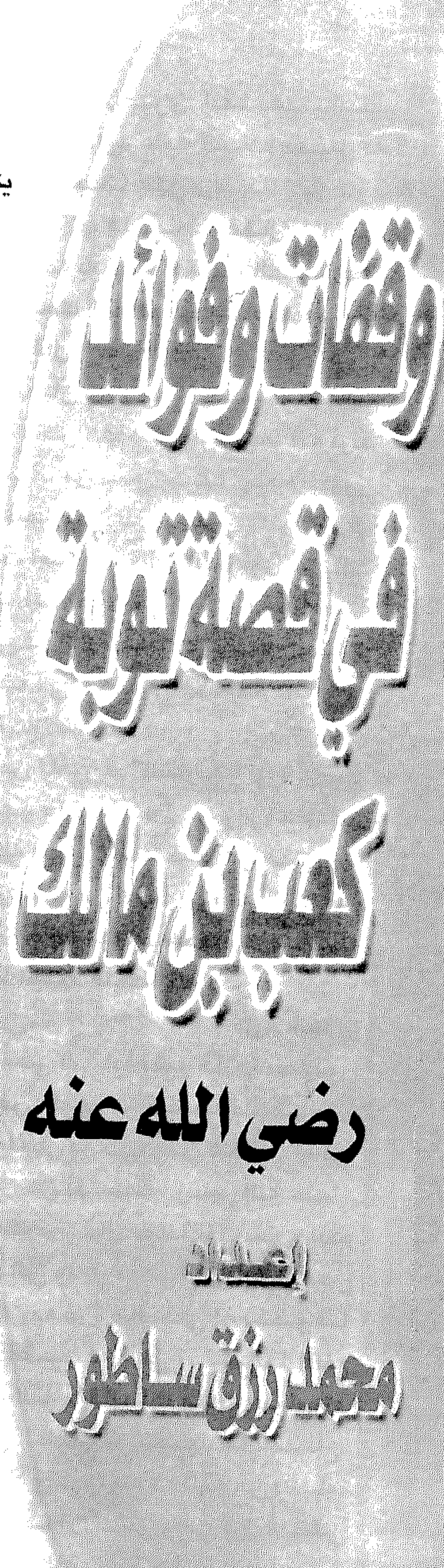
يجب ألا ننسى أن سليمان قد ورث داود وهو ابنه وكلما نُسب فضلٌ إلى سليمان عليه السلام فهو فضل لداود عليه السلام.

ثانيًا: القصة الثانية كما جاء في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت لصاحبتها: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكمتا إلى داود عليه السلام فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود عليهما السلام، فأخبرتاه فقال: ائتوني بالسكين أشقه بينهما، فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى». قال الإمام النووي- رحمه الله-: «توصل سليمان بطريق من الحيلة والملاطفة إلى معرفة باطن القضية، فأوهمهما أنه يريد قطعه، ليعرف من يشق عليها قطعه، فتكون هي أمه، فلما هان على الكبرى قطعه عرف أنها ليست أمه، ولما قالت الصغرى ما قالت عرف أنها أمه»، ولا شك أن في هذه القصة دليلا على فراسة سليمان عليه السلام وعبقريته في استخراج الحكم بالقرائن والاستدلال بالأمارات.

ثالثًا: من المقرر في الشريعة أن القاضي إذا اجتهد وأخطأ فله أجر وإن اجتهد وأصاب فله أجران كما صحَّ عن النبي ﷺ من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: قال ﷺ: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر».

[رواه البخاري]

الأنبياء في النهاية بشر كانوا يحكمون فيما يعرض عليهم من قضايا باجتهادهم الخاص وليس بوحي، ومن هنا جاء في الصحيحين عن أم سلمة- رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ قال: «إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إليَّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له بنحو ما أسمع، فمن قضيت له بحق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار». فالحاكم مثاب أصاب أو أخطأ، وعلى القاضي أن يجتهد ما استطاع، والفضل أولاً وآخرًا لله يؤتيه من يشاء، ونكتفي بهذا القدر وإلى أن نلتقي أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه.



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

لقد زكى الله تعالى الصادقين في توبتهم، ودعا المؤمنين إلى أن يكونوا معهم.

قال جل ذكره: ﴿ وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١١٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة:١١٨، ١١٩].

ولقد أخبر كعب بن مالك رضي الله عنه عن قصة هؤلاء الثلاثة وتخلفهم عن رسول الله ﷺ فقال: لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلاَّ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَد تَخَلَّفَ عَنْهَا، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ. وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ حِينَ تَوَاثَقْنَا عَلَى الإِسْلاَمِ، وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا. كَانَ مِنْ خَبَرِي أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلاَ أَيْسَرَ حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْغَزَاةِ. وَاللَّهِ مَا اجْتَمَعَتْ عِنْدِي قَبْلَهُ رَاحِلَتَانِ قَطُّ حَتَّى جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الْغَزَاةِ وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ غَزْوَةً إِلاَّ وَرَّى بِغَيْرِهَا، حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ الْغَزْوَةُ غَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا، وَعَدُوًّا كَثِيرًا، فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ، فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ، وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَثِيرٌ، وَلاَ يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ- يُرِيدُ الدِّيوَانَ- قَالَ كَعْبٌ: فَمَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلاَّ ظَنَّ أَنْ سَيَخْفَى لَهُ، مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيُ اللَّهِ. وَغَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثِّمَارُ وَالظِّلاَلُ، وَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، فَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: أَنَا قَادِرٌ عَلَيْهِ. فَلَمْ يَزَلْ يَتَمَادَى بِي حَتَّى اشْتَدَّ بِالنَّاسِ الْجِدُّ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي شَيْئًا. فَقُلْتُ أَتَجَهَّزُ بَعْدَهُ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، ثُمَّ أَلْحَقُهُمْ، فَغَدَوْتُ بَعْدَ أَنْ فَصَلُوا لأَتَجَهَّزَ، فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا. ثُمَّ غَدَوْتُ، ثُمَّ رَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا. فَلَمْ يَزَلْ بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ، وَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ، وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ، فَلَمْ يُقَدَّرْ لِي ذَلِكَ فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ- بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ- فَطُفْتُ فِيهِمْ، أَحْزَنَنِي أَنِّي لاَ أَرَى إِلاَّ رَجُلاً مَغْمُوصًا عَلَيْهِ النِّفَاقُ، أَوْ رَجُلا مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ مِن الضُّعَفَاءِ، وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ، فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ: «مَا فَعَلَ كَعْبٌ؟» فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ حَبَسَهُ بُرْدَاهُ، وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِهِ. فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلاَّ خَيْرًا. فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. قَالَ كَعْبُ بْنُ

مَالِكٍ: فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّهُ تَوَجَّهَ قَافِلا حَضَرَنِي هَمِّي، وَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الكَذِبَ وَأَقُولُ: بِمَاذَا أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا؟ وَاسْتَعَنْتُ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي. فَلَمَّا قِيلَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا زَاحَ عَنِّي البَاطِلُ، وَعَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَخْرُجَ مِنْهُ أَبَدًا بِشَيْءٍ فِيهِ كَذِبٌ، فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ، وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَادِمًا، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالمَسْجِدِ فَيَرْكَعُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ المُخَلَّفُونَ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ- وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلا فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَانِيَتَهُمْ وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ. فَجِئْتُهُ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ المُغْضَبِ ثُمَّ قَالَ: «تَعَالَ». فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: «مَا خَلَّفَكَ؟» أَلَمْ تَكُنْ قَدِ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ؟ فَقُلْتُ: بَلَى إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلا، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ اليَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ إِنِّي لأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللَّهِ، لاَ وَاللَّهِ مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلاَ أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ». فَقُمْتُ. وَثَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَاتَّبَعُونِي فَقَالُوا لِي: وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، وَلَقَدْ عَجَزْتَ أَنْ لاَ تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ المُخَلَّفُونَ، قَدْ كَانَ كَافِيَكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَكَ. فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونَنِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي. ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِي أَحَدٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ، رَجُلاَنِ قَالاَ مِثْلَ مَا قُلْتَ، فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلُ مَا قِيلَ لَكَ. فَقُلْتُ: مَنْ هُمَا؟ قَالُوا: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ العَمْرِيُّ وَهِلاَلُ بْنُ أُمَيَّةَ الوَاقِفِيُّ، فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا فِيهِمَا أُسْوَةٌ، فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي. وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ المُسْلِمِينَ عَنْ كَلاَمِنَا أَيُّهَا الثَّلاَثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ، فَتَغَيَّرُوا لَنَا، حَتَّى تَنَكَّرَتْ فِي نَفْسِي الأَرْضُ فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ. فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ القَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلاَةَ مَعَ المُسْلِمِينَ، وَأَطُوفُ فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتِي رَسُولَ

اللَّهِ ﷺ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلاَةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلاَمِ عَلَيَّ أَمْ لاَ؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ، فَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلاَتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ، وَإِذَا التَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي. حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلاَمَ. فَقُلْتُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ، أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ، هَلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟ فَسَكَتَ. فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ فَسَكَتَ. فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَفَاضَتْ عَيْنَايَ، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الجِدَارَ. قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ المَدِينَةِ إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّأْمِ مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالمَدِينَةِ يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ؟ فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ: حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلاَ مَضْيَعَةٍ، فَالحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ. فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتُهَا: وَهَذَا أَيْضًا مِنَ البَلاَءِ. فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهُ بِهَا. حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنَ الخَمْسِينَ، إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَأْتِينِي فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ. فَقُلْتُ: أُطَلِّقُهَا أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟ قَالَ: لاَ. بَلِ اعْتَزِلْهَا وَلاَ تَقْرَبْهَا. وَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبَيَّ مِثْلَ ذَلِكَ. فَقُلْتُ لاِمْرَأَتِي الحَقِي بِأَهْلِكِ فَتَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِي هَذَا الأَمْرِ. قَالَ كَعْبٌ: فَجَاءَتِ امْرَأَةُ هِلاَلِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هِلاَلَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ؟ قَالَ: «لاَ، وَلَكِنْ لاَ يَقْرَبْكِ». قَالَتْ: إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ، وَاللَّهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا. فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي لَوِ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي امْرَأَتِكَ كَمَا أَذِنَ لاِمْرَأَةِ هِلاَلِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ. فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لاَ أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَمَا يُدْرِينِي مَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ. فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ حَتَّى كَمَلَتْ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ كَلاَمِنَا. فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلاَةَ الفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ: قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي، وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى جَبَلِ سَلْعٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ.

قَالَ فَخَرَرْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ. وَآذَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، وَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ رَجُلٌ إِلَيَّ فَرَسًا، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ فَأَوْفَى عَلَى الجَبَلِ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الفَرَسِ. فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ، فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا بِبُشْرَاهُ. وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، وَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يُهَنِّئُونِي بِالتَّوْبَةِ يَقُولُونَ: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ. قَالَ كَعْبٌ حَتَّى دَخَلْتُ المَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّأَنِي، وَاللَّهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ غَيْرُه، وَلَا أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ. قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: «أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ». قَالَ قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَا، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ». وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ. فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِه. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ». قُلْتُ: فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْبَرَ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا نَجَّانِي بِالصِّدْقِ وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيتُ. فَوَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ المُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الحَدِيثِ- مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي، مَا تَعَمَّدْتُ مُذْ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقِيتُ. وَأَنْزَلَ اللَّهُ عز وجل عَلَى رَسُولِ الله ﷺ ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ [التوبة:١١٧] إِلَى قَوْلِهِ-: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩] فَوَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ- بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ- أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِ رسولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ لَا أَكُونَ كَذَبْتُهُ فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا، فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الوَحْيَ شَرَّ مَا قَالَ لِأَحَدٍ، فَقَالَ عز وجل: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ﴾ [التوبة:٩٥] إِلَى قَوْلِهِ-: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة:٩٦] قَالَ كَعْبٌ: وَكُنَّا تَخَلَّفْنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ حَلَفُوا لَهُ، فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللَّهُ فِيهِ، فَبِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ مِمَّا خُلِّفْنَا عَنِ الغَزْوِ، إِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ، فَقَبِلَ مِنْهُ. ا. هـ

وفي هذا الحديث من الفوائد الكثيرة؛ نذكر منها:

الأولى: جواز إخبار الرجل عن تفريطه وتقصيره في طاعة الله ورسوله، وما ترتب على هذا التقصير من هجر ولوم وتأنيب وانعكاس ذلك على نفسه حتى ضاقت عليه، وضاقت عليه الأرض بما رحبت، وفي ذكر هذا التفريط والتقصير نصيحة للمسلمين حتى يقبح لهم المعصية والمخالفة، ليتأسوا بذلك فيهجروا المعاصي ويتركوا الذنوب لما يترتب عليها من آثار سيئة وعاقبة وخيمة، فالعاقل من اعتبر بغيره، ثم إن كعبًا رضي الله عنه حين يعطي خلاصة هذه التجربة إنما يريد أن ينصح بها، ليتجنب من يبلغه الحديث أسباب ما وقع فيه، وفيه الحض على الإسراع بفعل الخير وعدم التكاسل عنه.

الثانية: جواز إخبار الرجل عن جوانب الخير في نفسه إن لم يكن فخرًا أو كبرًا والتحدث بنعمة الله تعالى التي مَنَّ بها على العبد، فلقد أكرم الله تعالى هؤلاء الثلاثة ودعا المؤمنين إلى أن يكونوا معهم، فإخبار كعب عن هذه التوبة وإتمام نعمة الله عليهم فرحةً وتحدثًا بنعمة الله، كل هذا جائز، فالله تعالى يقول: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾] الضحى: ١١[، وإن كانت تزكية النفس منهيًا عنها فإنها في هذا الموطن جائزة كما تجوز حين يريد الرجل أن يلفت النظر إلى نعم الله التي أنعم بها عليه، فلقد قال الله تعالى عن يوسف: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥].

الثالثة: جواز تعزير المتخلف عن الجهاد مع ولي أمر المسلمين حتى يشعر بألم المخالفة وينبغي لولي الأمر أن يذكره ويعنفه ويوبخه.. إلى غير ذلك من أنواع التعزير، حتى يأخذ بيده إلى الله تعالى، لأن إهمال المسلمين المقصرين وعدم السؤال عنهم يفسدهم ويعرضهم للزلل والزيغ، ولذلك ذكر النبي ﷺ كعبًا وقال: «ما فعل كعب؟» وأهمل المنافقين ولم يسأل عنهم لأنهم رجس، نعوذ بالله من الخذلان.

الرابعة: فضل بيعة العقبة والتواثق على

الإسلام حتى إن كعبًا كان لا يراها دون مشهد بدر، وذلك لأن المسلمين في بادئ الأمر لاقوا من الاضطهاد والتعذيب ما جعلهم يخفون إسلامهم، ثم في ليلة العقبة يذهب المسلمون الجدد ليبايعوا ويعاهدوا الله ورسوله على الإسلام وهم يخافون أن يطلع عليهم أهل الكفر، فهذا يبين فضل ليلة العقبة وإن كانت بدر هي أشرف مشاهد رسول الله ﷺ ولقد سمى الله يوم بدر يوم الفرقان.

الخامسة: عدم الاكتفاء بسرد ما حدث، بل التحدث بسنة النبي ﷺ والإخبار عنها قدر المستطاع، ففي أثناء حديث كعب يقول: «ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورَّى بغيرها». ثم يذكر أيضًا في حديثه: «وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس». ثم يذكر أيضًا: «وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه كأن وجهه قطعة قمر». وكذلك جاء في بعض الروايات: «وكان لا يقدم من سفر إلا نهارًا في الضحى». وهذا يدل على أن المسلم حتى وهو يسرد واقعة حديث له لابد ألا ينسى هدي النبي ﷺ ولا يغيب عنه هذا الهدي الكريم، ثم الحرص على الفائدة، وبذل النصيحة والمعروف ولو لم يطلب منه ذلك، وهذه صفة في النبي ﷺ وأصحابه، ولذلك كان النبي ﷺ إذا سئل في مسألة أجاب وربما يزيد لحاجة السائل كالذي سأله عن الوضوء بماء البحر فقال: «هو الطهور ماؤه الحل ميتته». [رواه أحمد ١/٢٠١، ٢٠٢]

السادسة: الحذر من الجواسيس، وستر بعض الأمور عن الرعية للمصلحة، ولذلك كان رسول الله ﷺ إذا أراد غزوة ورَّى بغيرها، وهذه حكمة عالية فالحذر شيء مطلوب، وكانت هذه عادته ﷺ أن يعمي على الأعداء ليفوت عليهم فرصة الانقضاض على الإسلام والمسلمين، كما حدث ذلك في هجرته ﷺ.

السابعة: لم يكن للجيش ديوان يجمعهم في عهد النبي ﷺ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول من دون الديوان ولذلك كان الرجل إذا تخلف ظن أن ذلك سيخفى على المسلمين، ما لم ينزل بذلك وحي من الله تعالى.

الثامنة: الندم على ما فات من تقصير وأن هذا الندم يدفع الهمم للطاعة لتدارك ما فات، ولذلك قال كعب: «فهممت أن أرتحل فأدركهم فيا ليتني فعلت».

التاسعة: أن المتخلف عن رسول الله ﷺ إما مغموص عليه النفاق، أو رجل من أهل الأعذار، أو من خلفه رسول الله ﷺ واستعمله على المدينة أو خلفه لمصلحة.

العاشرة: الرد والذب عن عرض المسلمين، فلقد رد معاذ على من طعن في كعب بقوله: حبسه برداه والنظر في عطفيه، فقال له: بئس ما قلت، والله يا رسول الله، ما علمنا عليه إلا خيرًا. ولو أن كل طاعن وجد من يقوم طعنه، لما تفشى القيل والقال، ولنجيّ الله تعالى أعراض المسلمين من الخوض فيها.

الحادية عشرة: الستر على صاحب الخطأ رجاء إصلاحه وعدم فضح أمره، فحينما رَدَّ معاذ عن كعب وَرَدَ ذكر اسمه، أما الذي قال: «حبسه براده والنظر في عطفيه فقال عنه: فقال رجل من بني سلمة» ولم يذكر اسمه، وكذا حينما صدق كعب مع رسول الله ﷺ قال: ثار رجال من بني سلمة خلفه يؤنبونه، ولعل العلة في عدم ذكر أسماء هؤلاء وغيرهم حتى لا يشتهر عنهم المخالفة، ولذلك كان النبي ﷺ يقول في نصيحته: ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا. ولا يصرح بأسمائهم رجاء إصلاحهم وتجنبًا لفضح أمرهم.

الثانية عشرة: عظم أمر المعصية وقبحها، قال ابن حجر: وقد نبه الحسن البصري على ذلك فيما أخرجه ابن أبي حاتم عنه قال: يا سبحان الله، ما أكل هؤلاء الثلاثة مالاً حرامًا ولا سفكوا دمًا حرامًا، ولا أفسدوا في الأرض، أصابهم ما سمعتم وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، فكيف بمن يواقع الفواحش والكبائر؟

الثالثة عشرة: أن القوي في الدين يؤاخذ بأشد مما يؤاخذ به الضعيف في الدين، فانظر إلى عدد المتخلفين عن رسول الله ﷺ ولم يمتنع هو وأصحابه عن كلام أحد منهم إلا هؤلاء الثلاثة، ولما كان إيمانهم بهذه المكانة صبروا وتحملوا وخرجوا من هذه المحنة أقوى وأخشع وأتقى لله تعالى.

الرابعة عشرة: إجراء الأحكام على الظاهر ووكول السرائر إلى الله تعالى، فمع أنه ﷺ يعلم كذب المنافقين إلا أنه قَبِلَ منهم علانيتهم ووكل السرائر إلى الله عز وجل، لأننا لم نؤمر أن نشق عن صدور الناس.

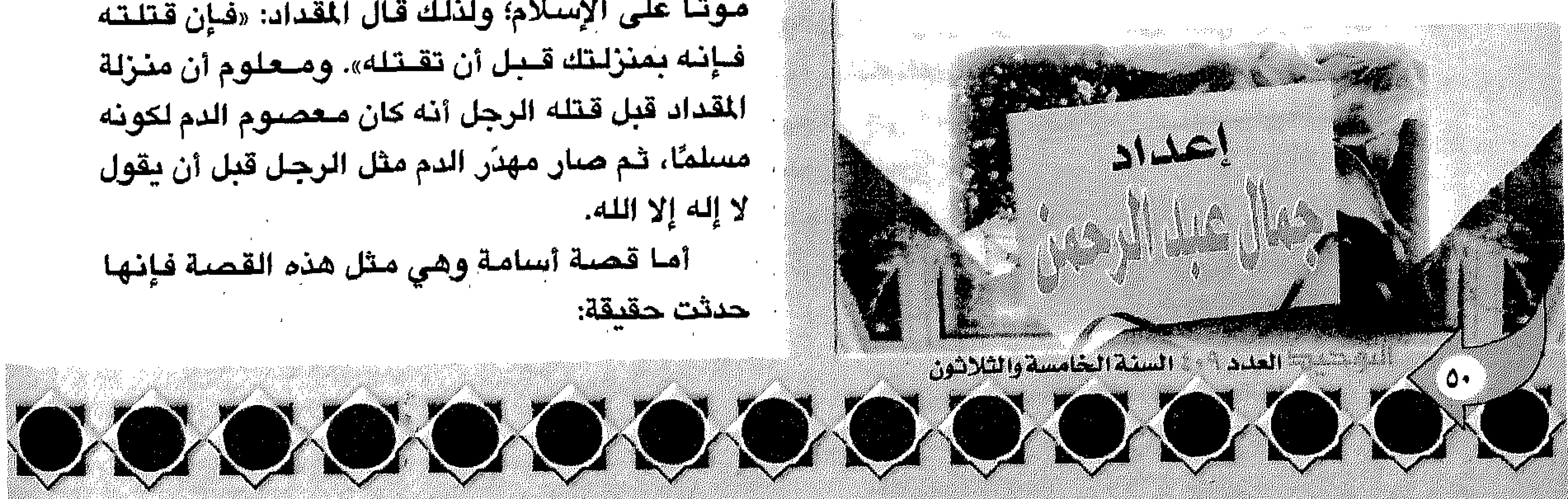
والله أعلم.

ركن الأسرة

الأسرة المسلمة في ظلال التوحيد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فإن أعظم كلمة نُعِدها لدنيانا وأخرانا «لا إله إلا الله» وقد قال سيد البشر ﷺ: «خير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير». ولعظمة هذه الكلمة عُصِمت بها دماء، وحُقِظت بها فروج وأموال، وفُصِل بها بين ملة الإسلام وسائر الملل، وعُرف بها المسلم من الكافر، ولعظمتها أمر الإسلام بتعظيمها وصيانتها.



النبي ﷺ يعلم أصحابه تعظيم كلمة لا إله إلا الله

عن المقداد بن عمرو الكندي رضي الله عنه وكان حَليفًا لبني زهرة، وكان ممن شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ أنه قال لرسول الله ﷺ: أرأيتَ إن لقيتُ رجلا من الكفار فاقتتلنا، فضرب إحدى يديَّ بالسيف فقطعها، ثم لاذ مني بشجرة فقال: أسلمت لله! أقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا تقتله». فقال: يا رسول الله؛ إنه قطع إحدى يدي ثم قال ذلك بعد ما قطعها؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا تقتله؛ فإن قتلتَه فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال». [صحيح البخاري ج٤ ح٦٤٢٧] ومعنى لاذ مني: تحيَّل في الفرار مني واستتر خلف شجرة واعتصم بها. ومعنى فإنه بمنزلتك: أي محقون الدم يُقتل قاتله قصاصًا. ومعنى وإنك بمنزلته: أي مُهدَر الدم تُقتل قصاصًا لقتلك مسلمًا.

فسبحان الله! هذا المقداد بن عمرو على مكانته الاجتماعية ومنزلته في الأمة الإسلامية؛ فهو ممن شهد بدرًا، وقد غفر الله تعالى لكل من حضر وقعة بدر، ولم تُغن كل هذه السوابق والمنازل عن إحقاق الحق، وإلزامه بالقسط؛ بتطبيق شرع الله وإعمال النصوص الشرعية بعيدًا عن الاجتهادات المقابلة للنص، وبمعزل عن الظنون والترجيحات، والعواطف والانفعالات.

ومع أن كل شواهد هذه القصة المفترضة تشير إلى ذلك الرجل الكافر الذي افترض المقداد أنه ضرب يده فقطعها عدو للمقداد وللدين والملة؛ وما قال قولته وشهد شهادته إلا تعوُّذًا واستجارة من القتل وخوفًا؛ إلا أنه يبقى أقوى شاهد من بين هذه الشواهد وهو قول الرجل: لا إله إلا الله، والذي يُعَد صدقه فيها وإيمانه بها من أضعف الاحتمالات؛ ومع هذا حكم به النبي ﷺ وجعل موته بعد قولها موتًا على الإسلام؛ ولذلك قال المقداد: «فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله». ومعلوم أن منزلة المقداد قبل قتله الرجل أنه كان معصوم الدم لكونه مسلمًا، ثم صار مهدَر الدم مثل الرجل قبل أن يقول لا إله إلا الله.

أما قصة أسامة وهي مثل هذه القصة فإنها حدثت حقيقة:



فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: بَعَثَنَا رسول الله ﷺ إلى الحُرقة (حي من أحياء العرب)، فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم، فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله؛ فكف الأنصاري عنه، فطعنْتُه برمحي حتى قتلتُه، فلما قدمنا بلغ النبيَّ ﷺ فقال: «يا أسامة؛ أقتلتَهُ بعد ما قال لا إله إلا الله»؟ قلت: كان متعوذًا، فما زال ﷺ يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم.

[صحيح البخاري ج٤ ح٤٠٢١ ومسلم وغيرهما]

وفي رواية أن النبي ﷺ قال لأسامة: «.. لِمَ قتلته؟ قال: يا رسول الله؛ أوجع في المسلمين وقتل فلانًا وفلانًا - وسمى له نفرًا - وإني حملْتُ عليه، فلما رأى السيف قال لا إله إلا الله، قال رسول الله ﷺ: «أقتلته»؟ قال: نعم، قال: «فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة»؟ قال: يا رسول الله: استغفر لي، قال: «وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة»؟ قال: فجعل لا يزيد على أن يقول: «كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة»؟ [صحيح مسلم ج١ ح٩٧]

وفي هذا النص يظهر مدى تعظيم رسول الله ﷺ لكلمة الحق «لا إله إلا الله» وعدم قبوله من أسامة أي شيء يضادها، كما يظهر استجابة أسامة لأمر رسول الله ﷺ، ومعرفته خطأه وإقراره به واعتذاره عنه، حتى أنه قال: يا رسول الله؛ استغفر لي.

وفي النص دلالة عظمى على عدم تحكيم العواطف وتقديمها على النصوص، أو تغليب الظنون على أمر الله العظيم.

وهذا النص عبرة واضحة وهدي مبين للذين يدفعهم حماسهم إلى تجاهل النص المبين ظنًا منهم أن الزيادة في الحماس والإفراط في الغيرة، ونية العمل للإسلام ومصلحة الدعوة؛ كل ذلك يشفع في تجاوز النصوص وتخطيها وإهمالها، والله غفور رحيم! والصحيح: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ و﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: حدثني محمود بن الربيع رضي الله عنه قال: قدِمْتُ المدينة فلقيت عتبان بن مالك فقلت: حديث بلغني عنك، قال: أصابني في بصري بعض الشيء، فبعثت إلى رسول الله ﷺ أني أحب أن تأتيني فتصلي في منزلي فأتخذه مصلى، قال: فأتى النبي ﷺ ومن شاء الله من أصحابه فدخل وهو يصلي في منزلي، وأصحابه يتحدثون بينهم (أي في ما يلقون من المنافقين)، ثم أسندوا عُظْم ذلك وكِبْره (أي نسبوا شدة أفعال المنافقين) إلى مالك بن دخشم قالوا: وَدُّوا أنه (أي النبي) دعا عليه فهلك، وودوا أنه أصابه شر، فقضى رسول الله ﷺ الصلاة وقال: «أليس يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله»؟ قالوا: إنه يقول ذلك وما هو في قلبه، قال: «لا يشهد أحد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فيدخل النار أو تَطْعَمه». قال أنس: فأعجبني هذا الحديث فقلت لابني: اكتبه فكتبه. فكانوا يتذاكرون المنافقين وقبيح فعالهم فذكروا منهم مالك بن الدخشم فصحح لهم رسول الله ﷺ القول فيه وأن قلبه مؤمن. [صحيح مسلم ج١ ص٦١]

أما رواية البخاري فهي توضح زيادة في سبب صلاة عتبان في بيته؛ فمع إصابته في بصره فهو يعالج الأمطار والسيول في الوادي وهي تحول بينه وبين مسجد قومه، قال أنس: أخبرني محمود بن الربيع الأنصاري أن عتبان بن مالك وهو من أصحاب رسول الله ﷺ ممن شهد بدرًا من الأنصار أنه أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله؛ قد أنكرتُ بصري وأنا أصلي لقومي، فإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم لم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلي بهم، ووددت يا رسول الله أنك تأتيني فتصلي في بيتي فأتخذه مصلى، قال: فقال له رسول الله ﷺ: «سأفعل إن شاء الله» قال عتبان: فغدا رسول الله ﷺ وأبو بكر حين ارتفع النهار، فاستأذن رسول الله ﷺ فأذنت له فلم يجلس حتى دخل البيت، ثم قال: «أين تحب أن أصلي من بيتك»؟ قال: فأشرت له إلى ناحية من البيت، فقام رسول الله ﷺ فكبَّر فقمنا فصففنا فصلى ركعتين ثم سلم، قال: وحبسناه على خُزَيْرة (لحم يُقطَّع قطعًا صغارا) صنعناها له، قال، فثاب في البيت رجال من أهل الدار ذوو عدد فاجتمعوا، فقال قائل منهم: أين مالك بن الدخيشن أو ابن الدخشن؟ فقال بعضهم: ذلك منافق لا يحب الله

ورسوله، فقال رسول الله ﷺ : «لا تقل ذلك؛ ألا تراه قد قال لا إله إلا الله يريد بذلك وجه الله؟ » قال: الله ورسوله أعلم، فإنا نرى وجهه ونصيحته إلى المنافقين، قال رسول الله ﷺ : «فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله». [صحيح البخاري ج١ ح٤١٥]

ويلحق بما تقدم ما يحدث من غيبة بعض الناس والخوض في أعراضهم وسيرتهم وسبهم والتهكم منهم وعليهم، والتندر بأفعالهم في المجالس بزعم أنهم أصحاب كيد وألاعيب، يبدر منهم دائمًا القبيح المعيب. وبالنظر فيما سبق من الأحاديث يُعرف مدى التجاوز للهدي النبوي بغيبة الناس والوقوع في أعراضهم. وقد يكون المرء حقيقة لا يساوي شيئًا في ميزان العدل والحق والخُلُق؛ لكن ظاهر الإسلام يحرم دمه وماله وعرضه، فلا حاجة أن نكسب الآثام فيمن لا يساوي في نظرنا شيئًا، ما دام يلفظ بلا إله إلا الله ويأتي بظاهر الإسلام والله حسيبه، وحسابه عليه، وإلا فكيف نصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟!

الاستسلام لأمر الله تعظيم لكلمة لا إله إلا الله

ومن تعظيم كلمة لا إله إلا الله التسليم لله سبحانه باتباع أمره واجتناب نهيه. قال تعالى: ﴿ ...وَأَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [هود:١٤]. وقد حرم الإسلام التبني ونهى عن نسبة الولد لغير أبيه فحرم ذلك تحريمًا قاطعًا وعلى كل من قال لا إله إلا الله يبتغي بها وجه الله أن يعلن التسليم له جل وعلا فيكون حاله ومقاله سمعنا وأطعنا، تعظيما لحرمات الله، ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٠] ولا يصلح أن يكون ضعف الإيمان عند كثير من الناس وقلة خبرتهم بالشريعة الغراء ورغباتهم الشخصية والنفسية حائلاً ومانعًا من تنفيذ شرع الله أو على الأقل إجراء تعديلات وتحسينات على النصوص الشرعية بدعوى المصلحة والحالة النفسية كما حدث مع مثل هذه المرأة التي تقول: ليس عندي أولاد، وقد توفي زوجي، وأريد أن أتبنى طفلة صغيرة أربيها وأكتسب فيها أجرًا عند الله تعالى، لكني أخشى عندما تكبر هذه البنت وتكتشف أنها ليست ابنتي ولا ابنة زوجي المتوفى، سيكون في ذلك تدمير لنفسيتها في وسط مجتمع لا يقدر فيه كثيرون ظروف أمثالها، وعليه فأريد أن أسجلها في الأوراق الرسمية باسم زوجي أو اسم والدي مع تغيير بسيط في الاسم الأخير أو الاسم قبل الأخير بحيث لا أكون سميتها باسمنا كاملاً، ولا جعلتها تشك في نسبتها إلينا عند كبرها وبذلك لا تتعرض في المجتمع للأزمات النفسية التي تحطم مستقبلها وتدمر شخصيتها، والله سبحانه وتعالى يعلم بِنِيَّتِي أنني لم أنسبها إليّ كأم ولكنها مجرد أوراق لتحقيق مصلحة هذه البنت.

والجواب والصواب في هذه الحالة وأمثالها أن تحري الشرع وتنفيذه هو السبيل لحل كل مشكلة تواجه المرء في حياته، خاصة وأن مثل هذه المشكلة نزل بشأنها قرآن، وأثيرت في عصر نزول القرآن بصورة واسعة، وحسم القرآن فيها القول، ورفض رفضًا تامًا تسمية الدعيّ ولدًا كما أنه لا تكون الزوجة أبدًا أُمًا. وقد امتثل المسلمون الأوائل لهذا الأمر الرباني فآمنوا به وحكموا به على أنفسهم ولم يكن في صدورهم حرج مما قضى الله وسلموا تسليما، علما منهم ويقينًا أن الله يعلم وهم لا يعلمون، وهو عليم حكيم خبير، أرحم منهم بخلقه، والحنان من لدنه أعظم وأكمل من حنانهم على أنفسهم، وما أصابنا من الحسنات والخير فمنه سبحانه، وما أصابنا من مصيبة فبما كسبت أيدينا. فحرم الله تعالى التبني حرمة يقينية أبدية لا يحلها تغير أخلاق الناس وبُعدهم عن شرع الله، ولا يبيحها عاطفة جياشة أو الشفقة على الآخرين. قال الله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (٤) ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤-٥].

والحمد لله رب العالمين.

تحذير الداعية من القصص الواهية

قصة تحكيم إبليس في دار الندوة

الحلقة السادسة والستون

إعداد
الشيخ/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت وانتشرت في كتب السيرة وعلى ألسنة القصاص والوعاظ في الهجرة.

وإلى القارئ الكريم هذه القصة الواهية قصة «تحكيم إبليس في دار الندوة».

أولاً: متن القصة

رُوِيَ عن ابن عباس قال: «لما عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد كانت له شيعة وأصحاب من غير بلدهم ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم، عرفوا أنهم قد نزلوا دارًا أصابوا منهم منعة فحذروا خروج رسول الله ﷺ، فاجتمعوا له في دار الندوة وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمرًا إلا فيها فيتشاورون فيها ما يصنعون من أمر رسول الله ﷺ حين خافوه، فلما اجتمعوا لذلك، في ذلك اليوم الذي اتعدوا له، وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة، اعترض لهم إبليس في هيئة رجل شيخ جليل عليه بت- يعني كساء غليظ من صوف أو وبر- فوقف على باب الدار فلما رأوه واقفًا على بابها، قالوا: من الشيخ؟ قال: شيخ من أهل نجد، سمع بالذي اتعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون، وعسى أن لا يعدمكم منه رأيًا ونصحًا، قالوا: أجل، فادخل، فدخل معهم، وقد اجتمع فيها أشراف قريش من كل قبيلة: من بني عبد شمس: عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو سفيان بن حرب، ومن بني نوفل بن عبد مناف: طعيمة بن عدي، وجبير بن مطعم، والحارث بن عامر بن نوفل، ومن بني عبد الدار بن قصي: النضر بن الحارث بن كلدة، ومن بني أسد بن عبد العزى: أبو البختري بن هشام، وزمعة بن الأسود بن المطلب، وحكيم بن حزام، ومن بني مخزوم: أبو جهل بن هشام، ومن بني سهم: نبيه ومنبه ابنا الحجاج، ومن بني جمح: أمية بن خلف، ومن كان معهم، وغيرهم ممن لا يعد من قريش، فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم، فإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا فأجمعوا فيه رأيًا، قال: فتشاوروا ثم قال قائل منهم: احبسوه في الحديد، وأغلقوا عليه بابًا، ثم تربصوا ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله زهيرًا والنابغة ومن مضى منهم من هذا الموت، حتى يصيبه ما أصابهم.

١ - فقال الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي، والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم، ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم، ما هذا لكم برأي، فانظروا في غيره فتشاوروا

عليه.

ثم قال قائل منهم: نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا، فإذا أخرج عنا فوالله ما نبالي أين ذهب ولا حيث وقع إذا غاب عنا وفرغنا منه، فأصلحنا أمرنا.

٢ ـ قال الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي، ألم تروا حسن حديثه، وحلاوة منطقه، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به؟ والله لئن فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حي من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم في بلادكم بهم فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد، دبروا فيه أمرًا غير هذا.

قال أبو جهل بن هشام: والله إن لي فيه لرأيًا ما أراكم وقعتم عليه بعد، قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟ قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة شابًا فتى جلدًا نسيبًا وسيطًا فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفًا صارمًا، ثم يعمدوا عليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه، فإنهم إن فعلوا ذلك تفرق دمه- يعني الدية، وهي المال الذي يُعطى لولي القتيل- فعقلناه لهم.

٣ ـ قال الشيخ النجدي: القول ما قال الرجل، هذا الرأي، لا أرى غيره.

فتفرق القوم على هذا وهم مجمعون له». اهـ.

قلت: يتبين من متن القصة أن إبليس تولى التحكيم في دار الندوة، ولم ينازعه أحد من أشراف قريش، وقد كانوا من كل قبائلها، وكان في هيئة رجل شيخ جليل من أهل نجد عليه كساء غليظ من الصوف.

ثانيا: التخريج

الحديث الذي جاءت به هذه القصة أخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص٦٣- ٦٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٥١/٦، ٢٥٢ ح: ١٥٩٧٩)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٤٦٦/٢- ٤٦٨)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (١٦٨٦/٥) (ح١٩٩٤)، وابن سعد في «الطبقات» (١٠٩/١).

ثالثا: التحقيق

القصة واهية، وأسانيدها لا تصح، تزداد بها وهنًا على وهن.

١ ـ قال ابن سعد في «الطبقات»: أخبرنا محمد بن عمر.

أ- قال: حدثني معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة.

ب- قال: وحدثني ابن أبي حبيبة عن داود بن الحصين بن أبي غطفان عن ابن عباس.

جـ- قال: وحدثني قدامة ابن موسى عن عائشة بنت قدامة.

د- قال: وحدثني عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن عبيد الله بن أبي رافع عن علي.

هـ- قال: وحدثني معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن مالك بن جُعْشم عن سراقة بن جعشم.

قلت: بهذا يتبين أن ابن سعد أخرج القصة في طبقاته عن: عائشة، وابن عباس وعائشة بنت قدامة، وعلي، وسراقه بن جعشم، ولكن من رواية محمد بن عمر وهو الواقدي.

قال الإمام ابن حبان في «المجروحين» (٢٩٠/٢): محمد بن عمر بن واقد الواقدي الأسلمي المدني، كان ممن يحفظ أيام الناس وسيرهم، وكان يروي عن الثقات المقلوبات وعن الأثبات المعضلات حتى ربما سبق إلى القلب أنه كان المتعمد لذلك، كان أحمد بن حنبل يكذبه.

ثم قال: سمعت محمد بن المنذر، سمعت عباس بن محمد: سمعت يحيى بن معين يقول: الواقدي ليس بشيء.

ثم قال: أخبرني محمد بن عبد الرحمن: سمعت أبا غالب بن بنت معاوية بن عمرو: سمعت علي بن المديني يقول: الواقدي يضع الحديث. اهـ.

قلت: وأورده الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» ترجمة (٣٣٤) وقال: «محمد بن عمر الواقدي متروك الحديث». اهـ.

وأورده الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» ترجمة (٥٣١) وقال: «محمد بن عمر الواقدي، متروك الحديث».

قلت: وهذا المصطلح عند النسائي له معناه حيث قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» باب (٦٨) مراتب الجرح: «كان مذهب النسائي أن لا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه».

٢ ـ قال أبو نعيم في «دلائل النبوة»: حدثنا حبيب بن الحسن، قال: حدثنا محمد بن يحيى المروزي، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن أيوب، قال: حدثنا إبراهيم بن سعد عن محمد بن

إسحاق عمن لا يتهم من أصحابنا عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد أبي الحجاج عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وحدثنا سليمان بن أحمد، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن البراء، قال: حدثنا الفضل بن غانم، قال: حدثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق قال: حدثني عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد بن جبر المكي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

قال: وحدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قلت: بهذا يتبين أن أبا نعيم أخرج القصة في «دلائل النبوة» من ثلاثة طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما.

الطريق الأول فيه علتان:

الأولى: تدليس محمد بن إسحاق.

فقد أورده الحافظ ابن حجر في «طبقات المدلسين» في الطبقة الرابعة رقم (٩) وقال: «محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني صاحب المغازي مشهور بالتدليس عن الضعفاء والمجهولين وعن شر منهم، وصفه بالتدليس ابن حبان». اهـ.

قلت: حكم رواية أصحاب هذه الطبقة: قال الحافظ ابن حجر في مقدمة كتاب «طبقات المدلسين»: «الرابعة: من اتفق على أنه لا يُحتج بشيء من حديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع لكثرة تدليسهم على الضعفاء والمجاهيل».

قلت: وابن إسحاق في هذا الطريق عنعن ولم يصرح بالسماع.

الثانية: جهالة شيخ ابن إسحاق. يتبين ذلك من السند: «عن محمد بن إسحاق عن من لا يتهم من أصحابنا»، وهذا النوع من أنواع المجهول يسمى «المبهم» وهو من لم يصرح باسمه «ومبهم ما فيه راوٍ لم يُسم»، ومن أبهم اسمه، جهلت عينه وجهلت عدالته من باب أولى، فلا تقبل روايته.

وكما بينا آنفًا من أقوال أئمة الجرح والتعديل: أن ابن إسحاق مشهور بالتدليس عن الضعفاء والمجهولين وعن شر منهم.

قلت: ولذلك نقل الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (٣٦/٩) عن يعقوب بن شيبة قال: سمعت ابن نمير يقول: «إنما أُتِيَ- يعني ابن إسحاق- من أنه يحدث عن المجهولين أحاديث باطلة». اهـ.

قلت: وهذه القصة منها حيث حَدَّثَ فيها عن مجهولين فهي باطلة كما بينا آنفًا.

الطريق الثاني: وفيه علتان أيضًا:

العلة الأولى: سلمة بن الفضل.

أ- قال الإمام البخاري في كتاب «الضعفاء الصغير» رقم (١٤٩): «سلمة بن الفضل بن الأبرش سمع ابن إسحاق، عنده مناكير وفيه نظر». اهـ.

قلت: وهذا المصطلح عند البخاري له معناه، يظهر هذا من قول السيوطي في «تدريب الراوي» (٣٤٩/١): «البخاري يطلق: فيه نظر، وسكتوا عنه فيمن تركوا حديثه، ويطلق منكر الحديث على من لا تحل الرواية عنه».

قلت: وبهذا يتبين أن سلمة بن الفضل متروك الحديث فلا يصلح حديثه للاحتجاج ولا المتابعات ولا الشواهد.

ب- قال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» رقم (٢٤١): «سلمة بن الفضل بن الأبرش: أبو عبد الله ضعيف، يروي عن ابن إسحاق المغازي».

جـ- أورده الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (١٣٥/٤) وقال: «سلمة بن الفضل بن الأبرش الأنصاري مولاهم أبو عبد الله الأزرق، قال البخاري: عنده مناكير وهَّنه علي بن المديني قال علي: ما خرجنا من الري حتى رمينا بحديثه، قال البرذعي عن أبي زرعة: كان أهل الري لا يرغبون فيه لمعان فيه من سوء رأيه وظلم فيه، وأما إبراهيم بن موسى فسمعته غير مرة وأشار أبو زرعة إلى لسانه يريد الكذب». اهـ.

قلت: ولذلك أشار الحافظ ابن حجر إلى سوء حفظه في «التقريب» (٣١٨/١): فقال: «كثير الخطأ». اهـ.

قلت: لذلك قال الحافظ العراقي في «فتح المغيث» (ص٧): «من كثر الخطأ في حديثه وفحش استحق الترك وإن كان عدلاً».

فانظر إلى الترابط الشديد بين قول الإمام البخاري: «فيه نظر» ومعناه وبين قول الحافظ العراقي وتلميذه ابن حجر.

العلة الثانية: الفضل بن غانم: أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٣٥٧/٣) وقال: «الفضل بن غانم الخزاعي قال يحيى: ليس بشيء، وقال الدارقطني: ليس بالقوي، وقال الخطيب:

ضعيف».

قلت: ومصطلح «ليس بشيء» يقوله يحيى بن معين في الكذابين والمتروكين، كذلك في أهل الغفلة والاضطراب الذين يُرد حديثهم، وفي المبتدعة والمقلين. كذا في «التهذيب» (٥٠٩/١).

الطريق الثالث: وفيه أيضا علتان:

العلة الأولى: الكلبي: أورده الإمام الذهبي في «الميزان» ترجمة (٧٥٧٤) وقال: «محمد بن السائب الكلبي، أبو النضر الكوفي المفسر النَّسَّابَة الأخباري، قال ابن معين: «الكلبي ليس بثقة»، وقال الجوزجاني وغيره: كذاب. وقال الدارقطني وجماعة: متروك».

قال النسائي في «الضعفاء والمتروكين» ترجمة (٥١٤): «أبو النضر الكلبي: متروك الحديث». وقال البخاري في «الضعفاء الصغير» ترجمة (٣٢٢): «أبو النضر الكلبي تركه يحيى بن سعيد».

العلة الثانية: أبو صالح.

قال الإمام ابن حبان في «المجروحين» (٢٥٥/٢): «محمد بن السائب الكلبي يروي عن أبي صالح عن ابن عباس التفسير، وأبو صالح لم ير ابن عباس ولا سمع منه شيئًا، ولا سمع الكلبي من أبي صالح، لا يحل ذكره في الكتب فكيف الاحتجاج به؟». اهـ.

قلت: بهذا يتبين أن الطرق الثلاثة التي أخرجها أبو نعيم تزيد القصة وهنًا على وهن لما فيها من كذابين ومتروكين ومجهولين ومدلسين.

٣- ابن جرير الطبري في «التاريخ» (٥٦٦/١)
أخرج القصة من ثلاثة طرق:

الأول: نفس طريق سلمة بن الفضل بن الأبرش الذي أخرجه أبو نعيم وبينا أنه طريق تالف.

والثاني: من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

قلت: ولقد بينا آنفًا أن هذا الطريق أوهى من سابقه.

والثالث: من طريق سلمة عن محمد بن إسحاق قال: حدثني الحسن بن عمارة عن الحكم بن عتيبة عن مقسم عن ابن عباس.

قلت: وهذا الطريق تالف فيه سلمة بن الفضل وهو متروك كما بينا آنفًا، والحكم بن عتيبة مدلس كما في «التقريب» (١٩٢/١) وقد عنعن.

٤- وأخرج القصة ابن جرير الطبري في «التفسير» (٢٥١/٦- ٢٥٢ ح١٥٩٧٩) من طريقين:

الأول: هو نفس الطريق الأول الذي أخرجه أبو نعيم والذي بينا ضعفه آنفًا.

الثاني: من طريق الكلبي عن باذام مولى أم هانئ عن ابن عباس.

قلت: وباذام مولى أم هانئ هو أبو صالح كما في «التقريب» (٩٣/١).

وهذا هو الطريق الثالث الذي أخرجه أبو نعيم وهو طريق تالف كما بينا آنفًا.

ملحوظة: وقع تصحيف في السند في تفسير ابن جرير حيث جاء اسم أبي صالح (زاذان مولى أم هانئ)، ويجب أن يصحح إلى (باذام مولى أم هانئ) كما في «التقريب» (٩٣/١) وقال الحافظ ابن حجر: «ضعيف مدلس»، وقد عنعن فيزداد الطريق ضعفًا على ضعفه.

٥- وأخرج القصة ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٦٨٦/٥) (ح٨٩٩٤) من نفس الطريق الواهي الذي أخرجه أبو نعيم من طريق ابن إسحاق من حديث مجاهد عن ابن عباس ويظهر فيه التدليس والاضطراب.

٦- وأخرجه البيهقي في «الدلائل» عن محمد بن إسحاق من نفس الطرق التي بينا ضعفها من مدلسين ومجهولين وكذابين ومتروكين.

بدائل صحيحة:

ولقد بين الإمام البخاري الصحيح في هجرة رسول الله ﷺ وذكر قصة الهجرة في أكثر من أربعين سطرًا في الحديث رقم (٣٩٠٥) من حديث عائشة رضي الله عنها، وفي الحديث رقم (٣٩٠٦) من حديث سراقة بن جعشم.

وبوَّب الإمام البخاري بابًا بعنوان «هجرة النبي ﷺ إلى المدينة الباب رقم (٤٥) من كتاب «مناقب الأنصار»، وفي هذه القصص الصحيحة الغنى عن هذه القصص الواهية.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

اللجنة الدائمة للإفتاء بالسعودية

الأغسال المتعددة

س: هل يجزئ الغسل من الجنابة عن غسل الجمعة وعن غسل الحيض والنفاس؟

الجواب: الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه، وبعد:

من وجب عليه غسل فأكثر كفاه غسل واحد عن الجميع إذا نوى به رفع موجبات الغسل ونوى استباحة الصلاة ونحوها كالطواف؛ لقول النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى». متفق عليه. ولأن المقصود بغسل يوم الجمعة يحصل بالغسل عن الجنابة إذا وقع في يومها.

مكافآت المتبرع بالدم

س: بنك الدم يمنح هدايا للمتبرعين بالدم، مثل سجادة صلاة، وميدالية أو غتر- شماغ- أو غيرهما، وأحيانًا ثلاثمائة ريال. أرجو إيضاح رأي الشرع المطهر في هذه الهدايا.

الجواب: لا يجوز بيع الدم؛ لما في «صحيح البخاري»، من حديث أبي جحيفة قال: رأيت أبي اشترى حَجّامًا، فأمر بمحاجمه فكسرت، فسألته عن ذلك فقال: إن رسول الله ﷺ نهى عن ثمن الدم وثمن الكلب وكسب الأمة، ولعن الواشمة والمستوشمة وآكل الربا وموكله ولعن المصور.

قال الحافظ في «الفتح»: المراد تحريم بيع الدم كما حرم بيع الميتة والخنزير، وهو حرام إجماعًا، أعني: بيع الدم وأخذ ثمنه. اهـ.

رخص السفر

س: أنا صاحب عمل سفري مستمر في البحث عن الرزق، وأؤدي الفروض جمعًا دائمًا في سفري، وأفطر في شهر رمضان، فهل يحق لي ذلك أم لا؟

الجواب: يجوز لك في سفرك قصر الصلاة الرباعية والجمع بين الظهر والعصر في وقت إحداهما والجمع بين المغرب والعشاء في وقت إحداهما، ويجوز لك أيضًا الفطر في شهر رمضان في سفرك ويجب عليك قضاء الأيام التي أفطرتها من رمضان؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾.

خلفاء الله في أرضه

س: وجدت في بعض الكتب عبارة: «وأنتم أيها المسلمون خلفاء الله في أرضه»، فما حكم ذلك؟

الجواب: هذا التعبير غير صحيح من جهة معناه، لأن الله تعالى هو الخالق لكل شيء المالك له ولم يغب عن خلقه وملكه، حتى يتخذ خليفة عنه في أرض، وإنما يجعل الله بعض الناس خلفاء لبعض في الأرض، فكلما هلك فرد أو جماعة أو أمة جعل غيرها خليفة منها يخلفها في عمارة الأرض كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾، وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ أي نوعًا من الخلق يخلف من كان قبلهم من مخلوقاته.

التقابض عن طريق ماكينة صرف الأموال

س: نحن من أصحاب محلات بيع الذهب والمجوهرات، وقد عرض علينا استخدام مكينة تسمى: نقطة بيع، وهي عبارة عن آلة تستخدم لتسديد قيمة ما يشتريه منا الزبون عن طريق تحويل المبلغ من حسابه إلى حسابنا عن طريق التليفون، ويصدر من الماكينة سند يثبت أن المبلغ أودع في حسابنا، فما هو حكم استخدام مثل هذه الآلة في بيع الذهب؟

الجواب: ما دام الحال أن جهاز نقاط البيع الذي بموجبه يخصم المبلغ حالاً من حساب المشتري المودع في المصرف المسحوب منه، ويحول حالاً إلى حساب البائع، وليس هناك عمولات لقاء هذا التحويل فإن البيع بهذه الصفة له حكم التقابض في المجلس، فيجوز بيع الذهب بالعملة الورقية وتسديد الثمن بواسطة نقطة البيع المذكورة؛ لتوفر الحلول والتقابض في مجلس العقد.

جنائزنا اليوم بين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، ثم أما بعد:

الجنازة: مشتقة من جَنَزَ إذا سَتَرَ.. ذكره ابن فارس وغيره، والمضارع يَجْنِز بكسر النون، والجنازة بكسر الجيم وفتحها والكسر أفصح- ويقال بالفتح للميت وبالكسر للنعش عليه ميت، ويقال عكسه. حكاه صاحب المطالع، والجمع: جنائز بالفتح لا غير[1].

وجاء في فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر رحمهم الله جميعًا: والجنائز بفتح الجيم لا غير، جمع جنازة بالفتح والكسر- لغتان، قال ابن قتيبة وجماعة: الكسر أفصح، وقيل بالكسر للنعش وبالفتح للميت، وقالوا: لا يُقال نعش إلا إذا كان عليه الميت[2].

وقول ابن حجر: قال الإمام الزرقاني رحمه الله في شرحه على موطأ الإمام مالك رحمه الله تعالى[3].

ولعل الكثير من الناس لا يحبون الكلام عن الموت وأحواله وما يجري قبله وأثناءه وبعده، ولكنهم لو علموا ما يكون من آثار هذه الأمور كلها ونتائجها لما كرهوا ذلك؛ لأن الموت قدرٌ من أقدار الله جل وعلا واقع لا محالة، ولا هروب ولا تسويف ولا تأخير فيه؛ لأنَّ كل شيء عنده بمقدار، وصدق الله العظيم القائل: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩) وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: ٤٩-٥٠]، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران:١٨٥].

ويأمرنا النبي ﷺ ويحضنا على أن نكثر من ذكر الموت حتى تنكسر حدة تعلقنا بالحياة الدنيا الفانية، كما جاء عنه ﷺ في الحديث الصحيح: «أكثروا من ذكر هاذم اللذات: الموت».

[صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/٢٦٤) (ح١٢١٠)]

وفي صحيح الترمذي رحمه الله: «أكثروا ذكر هاذم اللذات: يعني الموت».

[(٢/٥٢٦) حديث (٢٣٠٧)، وقال حديث حسن صحيح]

خلق الموت والحياة

خلق الله جل وعلا الخلق لعبادته خاصة من جن وإنس؛ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وما خُلق هؤلاء وغيرهم ليخلدوا في هذه الحياة، فإن لها نهاية، يعلمها الله وحده، ولكل مخلوق أجلهُ فيها.

وخلق الله الموت كما خلق الحياة للابتلاء ليرى -وهو أعلم بما كان وما سيكون- أيُّ الخلق أحسن عملاً، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ١، ٢].

وكان هديه ﷺ في الجنائز مخالفًا لما كان عليه سائر الأمم السابقة؛ مشتملاً على الإحسان إلى الميت ومعاملته بما ينفعه في قبره ويوم معاده وعلى الإحسان إلى أهله وأقاربه، وكان من هديه ﷺ في الجنائز إقامة العبودية للرب تبارك وتعالى على أكمل الأحوال، والإحسان إلى الميت وتجهيزه على أحسن أحواله وأفضلها، ووقوفه ﷺ وأصحابه صفوفًا يحمدون الله تعالى ويستغفرونه - ويسألون له المغفرة والرحمة والتجاوز عنه - ثم المشي بين يديه إلى أن يُودِعَهُ حفرته، ثم يقوم هو وأصحابه على قبره سائلين له التثبيت أحوج ما كان إليه العبد الميت، ثم يتعاهده بالزيارة إلى قبره والسلام عليه والدعاء له، وكان ذلك من هديه ﷺ كما جاء في الحديث الصحيح: قال رسول الله ﷺ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها، فإنها تُرق القلب، وتدمع العين، وتذكر الآخرة، ولا تقولوا هجرًا».

[صحيح الجامع: ٢/٨٤١، ح: ٤٥٨٤]

والهُجْرُ: القبيح من الكلام، وأهجر به: استهزأ، وأهجر في نومه ومرضه هُجرًا: هَذَى.

ومن هديه ﷺ في ذلك تعاهد المريض في مرضه وتذكيره بالآخرة وأمْرِهِ بالوصيةِ والتوبةِ وأمر من حضرهُ بتلقينه شهادة أن لا إله إلا الله،

هدي الشريعة والابتداع

لتكون آخر كلامه، ثم النهي عن لطم الخدود، وشق الجيوب، وحلق الرؤوس ورفع الصوت بالندب والنياحة وتوابع ذلك، وسنّ ﷺ الحزن على الميت والبكاء عليه بكاءً لا صوت معه، وحزن القلب، وكان ﷺ يفعل ذلك ويقول كما جاء في جزء الحديث الحسن: «تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول ما يُسخط الرب».

[صحيح الجامع: ١/٥٦٥ ح: ٢٩٣٢، ١٣٤٤]

ولذلك كان ﷺ أرضى الخلق بقضاء الله تعالى وأعظمهم له حمدًا، وبكى مع ذلك يوم مات ابنه إبراهيم رأفةً منه ورحمة للولد ورقةً عليه، والقلبُ ممتلئ بالرضا عنه عز وجل وشكره، واللسانُ منشغل بذكره وحمده.

هذا هو هَدْي نبينا ﷺ، ولابد من الاقتداء به في قوله وفعله وأمره، لأنه القدوة والمثل لنا ولمن قبلنا ولمن يأتي بعدنا إلى قيام الساعة، وصدق الله العظيم القائل: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقد أمرنا النبي ﷺ بإحسان الظن عند الموت بالله سبحانه كما في الحديث الصحيح عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يموتن أحدٌ منكم إلا وهو يُحسن الظن بالله تعالى».

[صحيح الجامع ٢/١٢٨٦ ح: ٧٧٩٢]

ولا يجب عليه أن يتمنى الموت للخلاص من آلام المرض وشدته كما سبق أن ذكرنا حديث النبي ﷺ في ذلك آنفًا.

وإذا كانت عليه من الحقوق للناس فليؤدها إلى أصحابها إن تيسر له ذلك وإلا أوصى أهله بذلك لقول النبي ﷺ: «من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو ماله فليؤدها إليه قبل أن يأتي يوم

إعداد/ راشد عبد المعطي

القيامة لا يُقبل فيه دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أُخذ منه وأعطي صاحبه وإن لم يكن له عمل صالح أُخذ من سيئات صاحبه فحملت عليه»[٥].

فضل سداد الدين عن الميت

نختم هذه المقالة بحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما- الصحيح- الذي رواه الحاكم والبيهقي والطيالسي وأحمد بإسناد حسن كما قال الهيثمي، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، قال: «مات رجل، فغسلناه وكفناه وحنطناه، ووضعناه لرسول الله ﷺ حيث توضع الجنائز عند مقام جبريل، ثم آذنا رسول الله ﷺ بالصلاة عليه فجاء معنا فتخطى خُطىً، ثم قال: لعلّ على صاحبكم دينًا؟ قالوا: نعم، ديناران، فتخلف، قال: صلوا على صاحبكم، فقال له رجل منا يقال له (أبو قتادة): يا رسول الله، هُما عليَّ، فجعل رسول الله ﷺ يقول: هما عليك وفي مالك، والميت منهما بريء؟ فقال: نعم، فصلى عليه، فجعل رسول الله ﷺ إذا لَقِيَ أبا قتادة يقول- وفي رواية ثم لقيه من الغد- فقال: ما صنعت الديناران؟ قال: يا رسول الله، إنما مات أمس، حتى كان آخر ذلك».

وفي الرواية الأخرى: ثم لقيه من الغد فقال: ما فعل الديناران؟ قال: قد قضيتهما يا رسول الله، قال: «الآن حين بردت عليه جلده» أي بسبب رفع العذاب عنه بعد وفاء دينه[٦].

وفي رواية النسائي رحمه الله بعد ذكر سداد الدين عن الميت جاء فيها: فلما فتح الله على رسول الله ﷺ قال: «أنا أوْلى بكل مؤمن من نفسه، مَن تَرَك دينًا فعليَّ، ومن ترك مالاً فلورثته»[٧].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٦/١٩٤).
(٢) فتح الباري (٣/١٣١).
(٣) شرح الزرقاني على موطأ مالك (٣/٢).
(٤) صحيح سنن أبي داود (٢/٢٧١ ح: ٣٠٩٠).
(٥) أحكام الجنائز (٤).
(٦) أحكام الجنائز (١٦).
(٧) سنن النسائي (٣١٤ ح: ١٩٦٢).



صلاح نجيب الدق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن المعاصي هي الداء العضال، الذي يفتك بالإنسان، فيجعله يخسر دنياه وآخرته، ولذا يجب على كل منا أن يقف مع نفسه وقفة حساب صادقة، وأن الآثار السيئة للمعاصي في الدنيا والآخرة، وبين يديك أخي الكريم وقفات موجزة علينا أن نتذكرها قبل الإقدام على المعصية:

١- تذكر أن الله يراك ويسمعك حيثما كنت:

قال تعالى ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

روى الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله عز وجل: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ إلى آخر الآية. [صحيح: مسند أحمد جـ٤٠/٢٢٨]

وقال سبحانه: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

سئل الجنيد- رحمه الله تعالى-: بما يُستعان على غض البصر؟ قال: بعلمك أن نظر الله إليك أسبق من نظرك إلى من تنظره.

[تحقيق كلمة الإخلاص ص٤١]

٢- تذكر قبل المعصية أن لله ملائكة تكتب أقوالك وأفعالك:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠].

وقال سبحانه: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

وقال سبحانه: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠].

وقال جل شأنه: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩].

٣- تذكر أن المعصية هي التي أخرجت آدم وزوجه من الجنة:

قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٥- ٣٧].

وقال سبحانه: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢].

٤- تذكر قبل المعصية الموت وسكراته:

قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ٩]. وقال سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان بين يديه رَكوة (وعاء) فيها ماء، فجعل يُدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه وهو يقول: «لا إله إلا الله، إن للموت لسكرات».

[البخاري: ح٦٥١٠]

٥- تذكر أن المعاصي هي سبب عذاب القبر:

روى الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ مرَّ بقبرين، فقال: «إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستنزه من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بين الناس بالنميمة».

[البخاري حديث ١٣٧٨، ومسلم حديث ١٩٨٠]

٦- تذكر قبل المعصية أن جوارحك ستشهد عليك يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ

فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [فصلت: ١٩- ٢١].

وقال سبحانه: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥].

روى مسلم عن أنس قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك، فقلنا: مم تضحك يا رسول الله؟ قال: من مخاطبة العبد ربَّهُ، يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم، قال: يقول: بلى، فيقول: فإني لا أجيزُ على نفسي إلا شاهدًا مني. قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدًا وبالكرام الكاتبين شهودًا، فيختم على فيه، فيقال لأركانه: انطقي، فتنطق بأعماله، ثم يُخلى بينه وبين الكلام، فيقول: بُعدًا لكنَّ وسحقًا فعنكن كنت أناضل». (أي أدافع). [مسلم حديث ٢٩٦٩]

٧- تذكر الحسرة والندامة على ارتكاب المعاصي عند الموت ويوم القيامة:

قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

وقال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧- ٢٩].

وقال جلَّ شأنه: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤) فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾ [الفجر: ٢١- ٢٥].

٨- تذكر قبل المعصية أن المعاصي سبب نزول لعنة الله على العباد وزوال نعمه عنهم:

قال سبحانه: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨-٨٠].

وقال جل شأنه: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٥-١٧].

وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

٩- تذكر أن المعاصي هي سبب طرد أصحابها عن حوض النبي ﷺ:

روى البخاري عن سهل بن سعد وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إني فرطكم على الحوض: مَن مَرَّ عليَّ شرب ومن شرب لم يظمأ أبدًا، ليردنَّ عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يُحالُ بيني وبينهم فأقول: إنهم مني، فيقالُ: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سُحقًا لمن غير بعدي».

[البخاري: ٦٥٨٣، ٦٥٨٤]

١٠- تذكر قبل المعصية أنها ستكون فضيحة أمام جميع الخلائق:

روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: إن الغادر ينصبُ له لواء يوم القيامة فيقالُ: هذه غدرة فلان ابن فلان.

[البخاري: ٦١٧٨]

١١- تذكر قبل المعصية أن ما يصيبك من العرق يوم القيامة يكون بمقدار ما ترتكبه من المعاصي:

روى الترمذي عن المقداد بن الأسود أن النبي ﷺ قال: إذا كان يوم القيامة أُدنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل أو اثنين فتصهرهم الشمس فيكونون في العرق بقدر أعمالهم، فمنهم من يأخذه إلى عقبه، ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من يأخذه إلى حُقويه، ومنهم من يُلجمه إلجامًا، قال المقداد: فرأيت رسول الله ﷺ يشير بيده إلى فيه.

[صحيح الترمذي للألباني: ١٩٧٣]

١٢- تذكر أن المعاصي تسوّد وجوه أصحابها يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، قال ابن عباس يوم القيامة تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة. [تفسير ابن كثير ١٣٩/٣]

وقال سبحانه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [عبس: ٤٠، ٤١]. قال ابن عباس: يغشاها سواد الوجوه. [تفسير ابن كثير ٢٥٦/١٤].

١٣- تذكر قبل المعصية أن الشيطان سيتبرأ من وساوسه لك بالمعاصي:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

١٤- تذكر قبل المعصية وقوفك وحدك للحساب بين يدي الله تعالى:

عن عدي بن حاتم أن رسول الله ﷺ قال: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه تُرجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة».

[متفق عليه].

والحمد لله رب العالمين

الغيبة وأثرها في محق الحسنات وتعاظم السيئات

إعداد

محمد أحمد سيد أحمد

أسباب الغيبة وبواعثها:

ذكر بعض العلماء للغيبة أسبابًا وبواعث، وفيما يلي خلاصتها:

١- شفاء المغتاب غيظه بذكر مساوئ من يغتابه.

٢- مجاملة الأقران والرفاق ومشاركتهم فيما يخوضون فيه من الغيبة.

٣- ظن المغتاب في غيره ظنًا سيئًا مدعاة إلى الغيبة.

٤- أن يبرئ المغتاب نفسه من سيئ وينسبه إلى غيره أو يذكر غيره بأنه مشارك له.

٥- رفع النفس وتزكيتها بتنقيص الغير.

٦- حسد من يثني عليه الناس ويذكرونه بخير.

٧- الاستهزاء والسخرية وتحقير الآخرين.

حكم الغيبة:

عد الحافظ ابن حجر الغيبة من الكبائر وقال: الذي دلت عليه الدلائل الكثيرة الصحيحة الظاهرة أنها كبيرة، لكنها تختلف عظمًا وشدة بحسب اختلاف مفسدتها، وقد جعلها من أوتي جوامع الكلم تعدل غصب المال، وقتل النفس بقوله ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه». والغَصْبُ والقتل كبيرتان إجماعًا، فكذا الإيذاء في العرض.

من الأحاديث الواردة في ذم الغيبة والنهي عنها:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما الغيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «ذِكْرُكَ أخاك بما يكره». قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته». [رواه مسلم]

٢- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنا مع النبي ﷺ فارتفعت ريح منتنة، فقال رسول الله ﷺ: «أتدرون ما هذه الريح؟ هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين». [رواه أحمد وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٠- ٤٨٤) سنده صحيح]

٣- عن أبي برزة الأسلمي- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تَتَّبِعوا عوراتهم فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته». [رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني]

٤- عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: مرَّ النبي ﷺ بقبرين فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فيعذب في البول وأما الآخر فيعذب بالغيبة». [أخرجه أحمد وابن ماجه، وصححه الألباني]

٥- عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم». [رواه ابو داود وصححه الالباني]

٦- عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم النحر فقال: «أيها الناس أي يوم هذا؟» قالوا: يوم حرام. قال: «فأي بلد هذا؟» قالوا: بلد حرام. قال: «فأي شهر هذا؟» قالوا: شهر حرام. قال: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا». فأعادها مرارًا، ثم رفع رأسه، فقال: «اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟» [رواه البخاري ومسلم]

٧- عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي ﷺ: حسبك من صفية كذا وكذا- تعني قصيرة- فقال: «لقد قلتِ كلمةً لو مزج بها البحر لمزجته». قالت: وحكيت له إنسانًا، فقال: «ما أحب أني حكيتُ إنسانًا وأن لي كذا وكذا». [رواه ابو داود وصححه الالباني]

٨- عن المستورد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من أكل برَجُلٍ مسلم أكلة فإن الله يُطعمه مثلها من جهنم، ومن كُسي ثوبًا برجل مسلم فإن الله يكسوه مثله من جهنم، ومن قام برجل مسلم مقام سمعة ورياء فإن الله يقوم به مقام سمعة ورياء يوم القيامة». [رواه احمد في المسند وابو داود واللفظ له وصححه الالباني]

٩- عن أبي الدرداء- رضي الله عنه- عن النبي ﷺ أنه قال: «من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة». [رواه الترمذي واللفظ له وقال: هذا حديث حسن وصححه الالباني]

١٠- عن أسماء بنت يزيد- رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: «من ذب عن عرض أخيه بالغيبة كان حقًا على الله أن يُعتقه من النار». [رواه أحمد والطبراني وصححه الالباني]

هل تحل الغيبة في بعض الأحيان؟

قال النووي رحمه الله: اعلم أن الغيبة تباح لغرض شرعي لا يمكن الوصول إليه إلا بها وهو ستة أسباب:

الأول: المتظلم، فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما مما له ولاية، أو قدرة على إنصافه من ظالمه، فيقول: ظلمني فلان بكذا.

الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر، ورد العاصي إلى الصواب، فيقول لمن يستطع إزالة المنكر: فلان يعمل كذا، فازجره عنه ونحو ذلك، ويكون مقصوده التوصل إلى تغيير المنكر، فإن لم يقصد ذلك كان حرامًا.

الثالث: الاستفتاء، فيقول للمفتي ظلمني أبي، أو أخي، أو زوجي، أو فلان بكذا، فهل له ذلك؟ وما طريقي في الخلاص منه، وتحصيل حقي، ودفع الظلم؟ ونحو ذلك، فهذا جائز للحاجة؛ ولكن الأحوط والأفضل أن يقول: ما تقول في رجل أو شخص، أو زوج، كان من أمره كذا؟ فإنه يحصل به الغرض من غير تعيين، ومع ذلك فالتعيين جائز.

الرابع: تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم، وذلك من وجوه:

منها: جرح المجروحين من الرواة والشهود.

ومنها: المشاورة في مصاهرة إنسان، أو مشاركته، أو معاملته، أو غير ذلك، أو مجاورته، بل يجب على المشاوَر أن لا يخفي حاله، بل يذكر المساوئ التي فيه بنيّة النصيحة.

ومنها: إذا رأى طالب علم يتردد على مبتدع، أو فاسق يأخذ عنه العلم، وخاف أن يتضرر الطالب بذلك، فعليه نصيحته ببيان حاله، بشرط أن يقصد النصيحة، وهذا مما يُغلط فيه، وقد يحمل المتكلم بذلك الحسد، ويلبس الشيطان عليه ذلك، ويخيل إليه أنه نصيحة؛ فليفطن لذلك.

ومنها: أن يكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها، إما بأن لا يكون صالحًا لها، وإما بأن يكون فاسقًا، أو مغفلاً، ونحو ذلك فيجب ذكر ذلك لمن عليه ولاية عامة ليزيله، ويولي من يصلح، أو يعلم ذلك منه، ليعامله بمقتضى حاله، ولا يغتر به، وأن يسعى في أن يحثه على الاستقامة أو يستبدل به.

الخامس: أن يكون مجاهرًا بفسقه أو بدعته كالمجاهر بشرب الخمر، وأخذ المكس، وجباية الأموال ظلمًا، وتولي الأمور الباطلة، فيجوز ذكره بما يجاهر به، ويحرم ذكره بغيره من

العيوب، إلا أن يكون لجوازه سبب آخر مما ذكرناه.

السادس: التعريف فإذا كان الإنسان معروفًا بلقب؛ كالأعمش والأعرج والأصم والأعمى والأحول، وغيرها جاز تعريفهم بذلك؛ ويحرم إطلاقه على جهة النقص ولو أمكن تعريفه بغير ذلك كان أولى.

من أقوال العلماء في ذم الغيبة

١- قال عمر رضي الله عنه: عليكم بذكر الله تعالى، فإنه شفاء، وإياكم وذكر الناس فإنه داء.

٢- عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه مر على بغل ميت، فقال لبعض أصحابه: لأن يأكل الرجل من هذا حتى يملأ بطنه خير من أن يأكل لحم رجل مسلم. [رواه ابن حبان وغيره موقوفًا]

٣- قال الحسن رحمه الله: ذكر الغير ثلاثة: الغيبة، البهتان، الإفك، وكل في كتاب الله عز وجل، فالغيبة أن تقول ما فيه، والبهتان أن تقول ما ليس فيه، والإفك أن تقول ما بلغك.

٤- رُوي عن الحسن رحمه الله: أن رجلاً قال له: إن فلانًا قد اغتابك، فبعث إليه رطبًا على طبق وقال: بلغني أنك أهديت إليَّ من حسناتك فأردت أن أكافئك عليها فاعذرني فإني لا أقدر أن أكافئك على التمام.

٥- عن ابن سيرين وذُكِر له الغيبة فقال: ألم تر إلى جيفة خضراء منتنة. [الزهد لوكيع بن الجراح]

٦- عن الشعبي رحمه الله أن العباس بن عبد المطلب قال لابنه عبد الله: يا بني، أرى أمير المؤمنين يدنيك، فاحفظ مني خصالاً ثلاثة: لا تغتب من له سر، ولا يسمعن منك كذبًا، ولا تغتابن عنده أحدًا. [مكارم الأخلاق للخرائطي]

٩- عن مجاهد رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ قال: الهُمَزَةُ الذي يأكل لحوم الناس، واللمزة: الطعان. [الزهد لوكيع بن الجراح]

١٠- عن عبد الله بن المبارك رضي الله عنه قال: قال بعضهم في تفسير العُزلة: هو أن تكون مع القوم فإن خاضوا في ذكر الله فخض معهم وإن خاضوا في غير ذلك فاسكت. [الصمت لابن أبي الدنيا]

علاج الغيبة:

إن الغيبة مرض خطير، وداء فتاك، ومعولٌ هدام، وسلوك يفرق بين الأحباب، وبهتان يغطي على محاسن الآخرين، وبذرة تنبت شرورًا بين المجتمع المسلم، وتقلب موازين العدال والإنصاف إلى الكذب والجور، وعلاج الغيبة يكون بما يأتي:

١- تقوى الله عز وجل والخوف منه سبحانه.

٢- اتهام النفس وفطمها عن الشهوات وكفها عن المهلكات وعن تتبع العورات.

٣- على المغتاب أن يعلم أنه متعرض لسخط الله يوم القيامة بإحباط عمله ما لم يتب إلى الله عز وجل.

٤- أن سيئات المغتاب تتعاظم وأن حسناته تتضاءل فيتعرض لغضب الجبار وعذاب النار وبئس المصير.

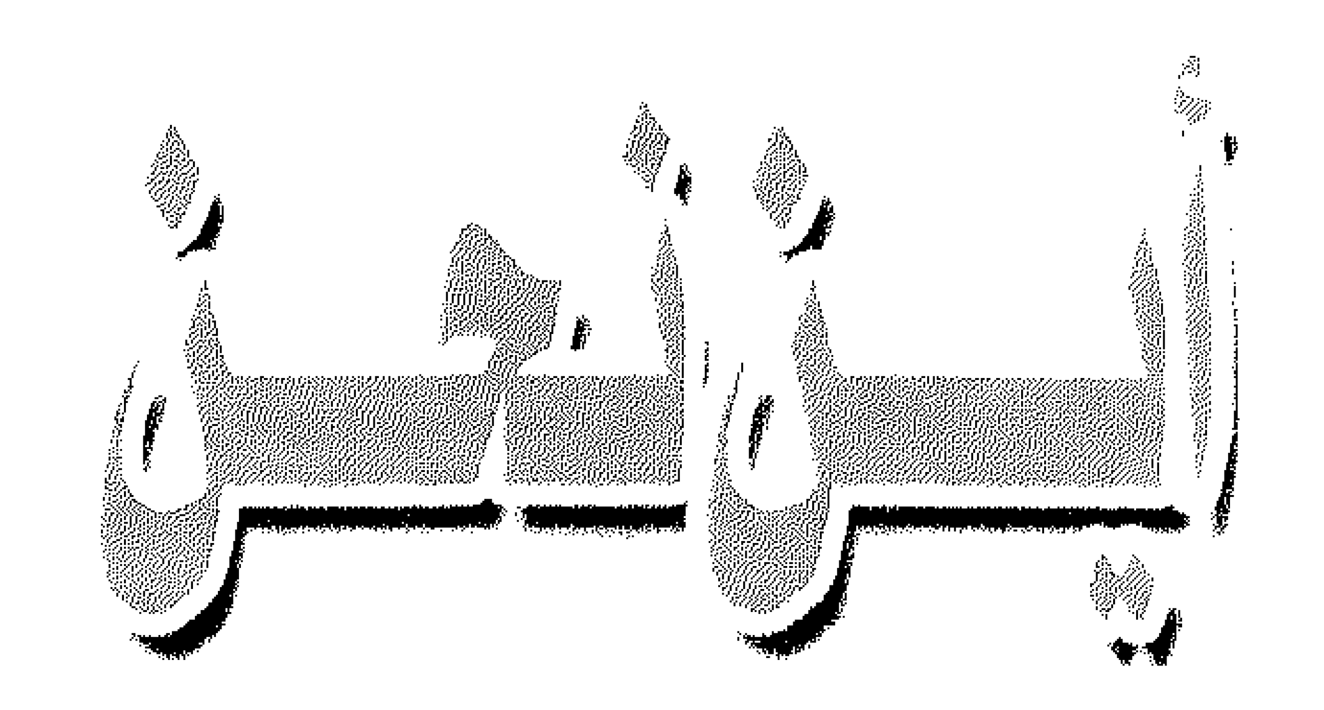
٥- إذا علم المغتاب بذلك فليبادر بالتوبة إلى الله توبة نصوحًا من قبل أن يأتي يوم توفى فيه كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون.

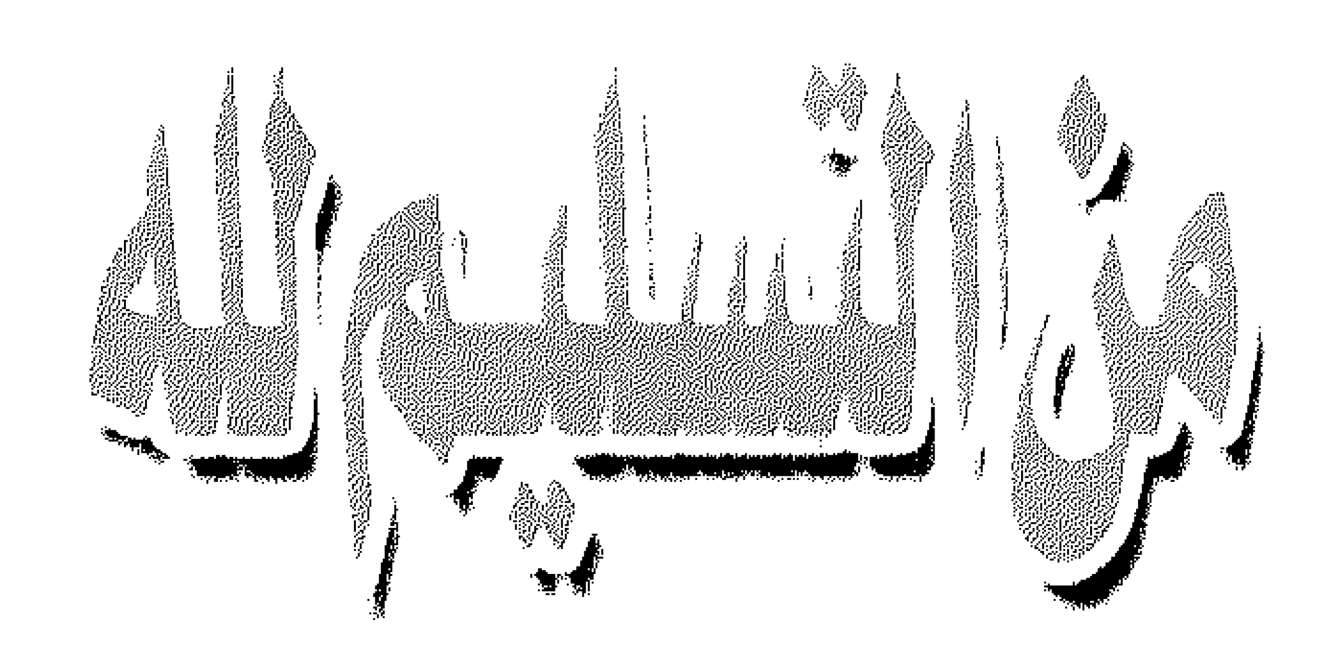
إنا لله وإنا إليه راجعون

ودعت أنصار السنة المحمدية رجلا من رجالها وهو الشيخ/ عبد الرحمن زكي سلام، وذلك يوم الجمعة ١٣ ذو الحجة، عن عمر يناهز الخمسة والخمسين عامًا بعد رحلة من الدعوة بدأت على يد إمام الجماعة ومؤسسها الشيخ/ محمد حامد الفقي - رحمه الله -.

نسأل الله تعالى أن يتغمده برحمته، وأن يسكنه فسيح جناته.

كما ودعت الجماعة من أبنائها الأخ/ عبد الله محمود زيادة رئيس فرع الجماعة بقويسنا، وذلك يوم الأحد ١ ذو الحجة والذي أسس فرع الجماعة بمدينة قويسنا، نسأل الله تعالى أن يجزل له العطاء ويعظم له المثوبة، ويخلفنا عنه خيرًا..







إعداد

فهد اليحيى

من تأمل كتاب الله تعالى ألفى آياته لا تفتأ تذكّره بالتسليم لله جل وعلا وتمام الانقياد له.

بل يتأكد المعنى بأن إيمان العبد لا يتحقق إلا بذلك التسليم والانقياد.

ففي سورة البقرة، يقول الله سبحانه: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢].

يقول الشنقيطي في أضواء البيان (٣١٢/١): معنى إسلام وجهه لله إطاعته وإذعانه وانقياده لله تعالى بامتثال أمره واجتناب نهيه في حال كونه محسنًا، أي: مخلصًا عمله لله لا يشرك فيه به شيئًا، مراقبًا فيه لله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه، فالله تعالى يراه، والعرب تطلق إسلام الوجه وتريد به الإذعان والانقياد التام. اهـ.

وقد ذكر الله سبحانه إسلام الوجه له في أكثر من آية، منها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ [النساء: ١٢٥].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [لقمان: ٢٢].

ونفى الله الإيمان إلا بهذا التسليم التام، فقال جل وعلا: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وهذا نفي عظيم مؤكد بعدة مؤكدات: القسم بنفسه المقدسة، واشتراط ألا يبقى في النفس من حكم الله أدنى حرج (نكرة في سياق النفي فهي من صيغ العموم)، ثم تأكيد التسليم بالمصدر.

وقد ذكر حال من يتلكأ في الأخذ بما أمر الله به فقال في سورة النور: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [النور: ٤٨].

قال الطبري في تفسيره (١٥٥/١٨): وإذا دُعِيَ هؤلاء المنافقون إلى كتاب الله وإلى رسوله ليُحْكَم بينهم فيما اختصموا فيه بحكم الله إذا فريق منهم معرضون عن قبول الحق والرضا بحكم رسول الله ﷺ. اهـ.

ثم بين الله ما في قلوبهم من الهوى فقال: ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾، ثم أنكر عليهم أشد الإنكار: ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [النور: ٥٠].

ثم أعقب ذلك بحال من يقابلهم وهم المؤمنون: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

وهذا التقسيم في الآيات يحصر الحال حيال أوامر الله تعالى في حالين فقط، فمن لم يكن كحال المؤمنين فلا مناص من وقوعه في زمرة المنافقين.

إن التسليم والإذعان والانقياد الذي يؤكده القرآن قد ضعف لدى كثير من المسلمين، وإليك صورًا واقعية لهذا الضعف:

١- عرض قضايا من الإسلام للحوار والمناقشة مع كونها من الأصول والثوابت، والمؤسف أن تكون الأطراف المتحاورة تنتسب إلى الإسلام والأمثلة من القنوات ومواقع الإنترنت لا تخفى.

٢- استبدال المرجعية الشرعية بالمرجعية العقلية لدى البعض بحيث تجد المتحدث أو المتلقي لا يتردد في عرض الفتوى أو الحكم الشرعي على عقله دون مراعاة لما أمر الله به من التسليم ولقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:.((43

٣- التردد في الأخذ بالحكم الشرعي، وتلمس الأعذار للتخلي عنه أو الأخذ الصوري أو الناقص، ويدخل في ذلك تتبع الفتاوى المبيحة أو «تتبع الرخص».

٤- ربما نسمع من البعض مقولة: «لا تقحموا الدين في كل شيء». وهذه مقولة خطيرة تنافي حقيقة الإسلام والتسليم له.

هذه المقولة قد نسمعها لفظًا وقد نلمسها واقعًا من فئات من الناس حين لا يرون الحاجة إلى السؤال عن حكم ما يفعلون لأنه- حسب اعتقادهم- لا صلة له بالدين فربما اعتقد بعضهم أو قال: هذا شأن طبي أو اقتصادي أو إعلامي أو سياسي وليس شأنًا دينيًا!!

ولكن على هؤلاء أن يسترجعوا ما تقتضيه شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإن مقتضاها هو الطاعة لله ولرسوله ﷺ والانقياد والتسليم وذلك في كل أمر دقيق أو جليل فهذا الدين شامل لكل شئون الحياة ولا يشذ عن ذلك شيء.

فما من فعل يقوم به الإنسان- أي فعل كان منفردًا أو مشتركًا- إلا وله في شرع الله حكم إما بالأمر به أو المنع منه أو الإذن به، والأمر به يشمل إيجابه أو استحبابه والمنع منه يشمل تحريمه أو كراهته والإذن به دون أمر به أو منع هو الإباحة.

والبعض يظن أن سكوت الشارع عن الحكم معناه عدم وجود الحكم الشرعي له، وهذا مجانب للصواب، إذ السكوت له عند العلماء أحوال، ولكل حال حكمها، وإنما يحكم بذلك علماء الشريعة دون غيرهم، وحتى لو اعتبرنا السكوت إباحة كما هي القاعدة الشرعية في جل الأحوال؛ فإنما هو حكم شرعي نتلقاه من الشرع وحده ويستنبطه حملته.

ولذا فمن اعتقد أو ظن أن من الأمور ما لا يدخله الدين كما يعبر بعضهم فقد اعتقد باطلاً وتقلد أمرًا خطيرًا.

كيف ذلك والله عز وجل يقول: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢- ١٦٣]، فكل حركة وسكنة أمر الله أن تكون له ولا يقصد بها إلا وجهه.

ويقول سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، قال مجاهد وغيره: لكل شيء أمروا به أو نهوا عنه.

وقال ﷺ: «تركتكم على بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك». رواه أحمد وابن ماجه عن العرباض بن سارية.

وقال أبو ذر: توفي رسول الله ﷺ وما طائر يحرك جناحيه في السماء إلا وقد ذكر لنا منه علمًا». أخرجه أحمد.

ولما سئل سلمان الفارسي رضي الله عنه: قد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة؟ قال: أجل، نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول، وأن نستنجي باليمين، أو أن نستقبل القبلة بغائط أو بول أو نستنجي برجيع أو بعظم». الحديث أخرجه مسلم.

ومعنى الإسلام هو الاستسلام لله والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك والبراءة من أهله، فالمسلم إذًا هو الذي لا يتقدم إلى أمر حتى يعلم حكم الله فيه فيقدم على بصيرة إن كان مأذونًا فيه أقدم وإن كان ممنوعًا منه أحجم، أما من لا يبالي وإنما همه أن يحقق ما يريد فهذا قد ناقض ما يتفوّه به من الشهادتين وما يدعيه من انتسابه لهذا الدين وأعظم منه خطرًا من إذا أخبر بحكم الله أعرض أو ادعى أن هذا لا دخل للدين فيه والعياذ بالله.

وحين يعلم المسلم حكم الله تعالى فليس له إلا الانقياد والتسليم، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً﴾ [الأحزاب: ٣٦].

فنفى الله اختيار العبد وتقدمه بين يدي الله في الشرعيات كما ليس له ذلك في الكونيات كما في قوله سبحانه: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨]، وقال سبحانه:)))يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

وحذر الله من مخالفة أمره فقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

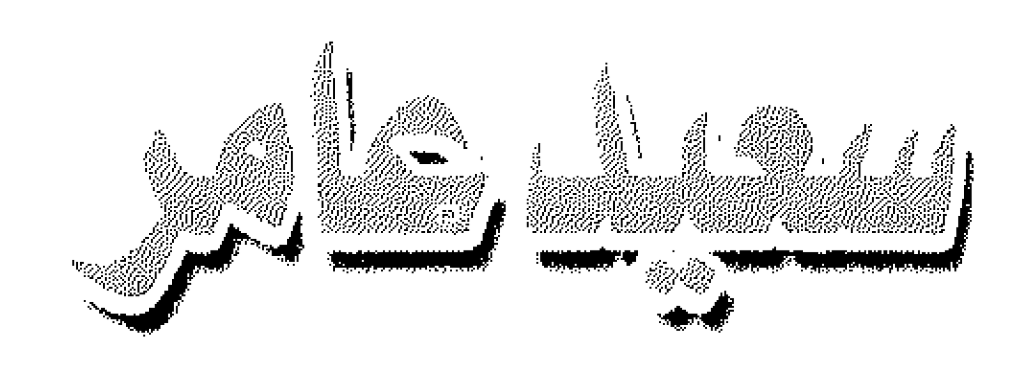
وتقدم ذكر آية النساء: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

والتسليم يقتضي الأخذ بالمأمورات دون تفريق أو تبعيض وتجزئة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

قال السعدي في تفسيره ١/٩٤: في السلم كافة أي في جميع شرائع الدين ولا يتركوا منها شيئًا وأن لا يكونوا ممن اتخذ إلهه هواه إن وافق الأمر المشروع هواه فعله وإن خالفه تركه، بل الواجب أن يكون الهوى تبعًا للدين وأن يفعل كل ما يقدر عليه من أفعال الخير، وما يعجز عنه يلتزمه وينويه فيدركه بنيته، ولما كان الدخول في السلم كافة لا يمكن ولا يتصور إلا بمخالفة طرق الشيطان قال: ﴿وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾. اهـ. وانظر تفسير الطبري ٢/ ٣٢٢.

وقال سبحانه: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥].





سعيد عامر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله وآله ومن والاه، أما بعد:

فقد سبق الحديث عن الأحكام الخاصة بالهدي والأضحية والفدية، وإليك الأحكامَ الخاصة بالعقيقة.

أولاً: تعريفها

هي اسم لما يُذبح عن المولود، وأصل العَقّ: الشقُّ والقطع، وقيل للذبيحة التي تُذْبَحُ عن المولود عقيقة؛ لأنها يُشَقُّ حَلْقُها. [النهاية لابن الأثير (٣/٢٧٦)]

ثانياً: حكمها

جمهور الفقهاء على أن العقيقة سنة مؤكدة، وبهذا قال ابن عباس وابن عمر وعائشة وفقهاء التابعين وأئمة الأمصار؛ الشافعية والحنابلة في الصحيح المشهور عنهم. [المجموع للنووي (٨/٤٣٥) بتصرف]

وذهب المالكية إلى أنها مندوبة، وأما الحنفية فلم يَرَوْها سنة، بل قالوا: إنها من أمر الجاهلية ولكن هذا الرأي مدفوع بالأحاديث النبوية الصحيحة.

وقال الظاهرية: إنها واجب. قال ابن حزم: العقيقة فرض واجب يُجْبَرُ عليها إذا فضل عن القوت مِقدارها، وهو أن يذبح عن كل مولود يولد حيًا أو ميتًا بعد أن يقع عليه اسم غلام أو اسم جارية.

[المحلى: ٧/٥٤٣]

والراجح أن العقيقة سنة مؤكدة، والأحاديث في ذلك كثيرة، منها:

عن سَمُرة بن جندب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كل غلام رهين- رهينة- بعقيقته، تذبح عنه يوم سابعه ويُحلق رأسه ويسمّى». وفي رواية: «الغلام مُرتهن بعقيقته». أخرجه أبو داود والترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

ثالثاً: حكمة مشروعيتها

تبدو حكمة مشروعية العقيقة من وجوه منها:

أ- إظهار البِشْر والنِّعْمَة.

ب- إظهار الشكر لله تعالى بما أنعم من مولود، فيعق عنه لخروج نسمة مسلمة يكاثر بها رسول الله ﷺ الأمم يوم القيامة، وتعبد الله عز وجل.

جـ- وسيلة إلى إشاعة نسب الولد، فلحم العقيقة يُدْعَى إليه الأهل والأصدقاء والأقارب، وقد يوزع على الجيران، فيعلمون سبب هذا التوزيع وهو ولادة المولود.

د- أنها قربة الله تعالى، وفيها الكرم والتغلب على الشح، وفيها إطعام الأقارب والفقراء والمساكين.

وحديث سمرة السابق: «كل غلام رهينة بعقيقته» أي مرهونة، والتاء للمبالغة. قال الخطابي: اختلف الناس في معنى هذه العبارة وأجود ما قيل فيها ما ذهب إليه أحمد ابن حنبل - رحمه الله - حيث قال: هذا في الشفاعة. يريد الإمام بقوله هذا، أنه إذا لم يعق عنه فمات طفلاً لم يُشفع في أبويه، وقيل معناه: أن العقيقة لازمة لابد منها، فشبه المولود في لزومها وعدم انفكاكه منها بالرهن في يد المُرتهن. [عون المعبود شرح سنن ابي داود ٨/٣٧]

رابعاً: من المطالب بالعقيقة؟

ذكر المالكية أن المطالب بالعقيقة هو الأب، وصرح الحنابلة: أنه لا يعق غير الأب إلا إن تعذر بموت أو امتناع، فإن فعلها غير الأب لم تكره، وقد عق النبي ﷺ عن الحسن والحسين؛ لأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وصرحوا بأنها تسن في حق الأب وإن كان معسرًا، ويقترض إن كان يستطيع الوفاء، قال أحمد: إذا لم يكن مالكًا ما يعق فاستقرض أرجو أن يُخْلِفَ الله عليه، لأنه أحيا سنة رسول الله ﷺ.

وذهب الشافعية إلى أن العقيقة تطلب من الأصل الذي تلزمه نفقة المولود بتقدير فقره، فيؤديها من مال نفسه لا من مال المولود، ولا يفعلها من لا تلزمه النفقة إلا بإذن من تلزمه.

خامساً: الفرق بين عقيقة الغلام وعقيقة الجارية

أكثر أهل العلم على أن عقيقة الغلام شاتان، وعقيقة الجارية شاة، وقد ذكر ابن حجر بعض الأحاديث التي تَدُلُّ على ذلك منها:

أخرج أبو داود والنسائي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده يرفعه: «من أحب أن ينسك عن ولده فليفعل، عن الغلام شاتان مكافئتان، وعن الجارية شاة».

قال داود بن قيس: «سألت زيد بن أسلم عن قوله: «مكافئتان» فقال: متشابهتان تذبحان جميعًا، أي: لا يؤخر ذبح إحداهما عن الأخرى، وحكى أبو داود عن أحمد المكافئتان: المتقاربتان. قال الخطابي: أي في السن، فلا تكون إحداهما مُسنة والأخرى غير مُسنة، بل يكونان مما يجزئ في الأضحية. وقال الزمخشري: معنى متكافئتين:

أي أنهما مُتعادلتان لما يجزئ في الزكاة وفي الأضحية.

ثم قال ابن حجر: وأولى من ذلك كله ما وقع في رواية سعيد بن منصور في حديث أم كُرز من وجه آخر عن عبيد الله بن أبي يزيد بلفظ: «شاتان مثلان». ووقع عند الطبراني في حديث آخر، قيل: ما المكافئتان؟ قال: «المثلان» وما أشار إليه زيد بن أسلم من ذبح إحداهما عُقيب الأخرى. هو قولٌ حَسَنٌ، ويحتمل الحمل على المعنيين معًا.

ثم قال: وهذه الأحاديث حجة للجمهور في التفرقة بين الغلام والجارية. [فتح الباري (٥٠٦/٩)]

وعن الإمام مالك: الغلام والجارية في العقيقة سواء يعق عن كل منهما شاةً، ودليله أن النبي ﷺ عق عن الحسن والحسين كبشًا كبشًا. أبو داود.

والراجح قول الجمهور؛ لأن الأحاديث صحيحة وصريحة فيما قالوه، وأن ما احتج به الإمام مالك لا يصلح حجة، فالاحتجاج بحديث أبي داود: أن النبي ﷺ عق عن الحسن والحسين كبشًا كبشًا. قال فيه ابن حجر: لا حجة فيه فقد أخرجه أبو الشيخ من وجه آخر عن عكرمة عن ابن عباس بلفظ: «كبشين كبشين». وأخرج أيضًا من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مثله.

وعلى تقدير ثبوت رواية أبي داود، فليس في الحديث ما يرد به الأحاديث المتواردة في التنصيص على التثنية للغلام، بل غايته أن يدل على جواز الاقتصار، وهو كذلك فإن العدد ليس شرطًا بل مستحب. [الفتح ٥٠٦/٩]

قال ابن القيم: حجة الجمهور الأحاديث الصريحة في أن عقيقة الغلام شاتان وعقيقة الجارية شاة، وأما أن النبي ﷺ عق عن الحسن والحسين، فذلك يدل على الجواز، وما ذكرناه في عقيقة الغلام من الأحاديث صريح في الاستحباب وسماع أم كرز لهذا الحديث من النبي ﷺ كان عام الحديبية، فهو متأخر عن عقيقة الحسن والحسين، وهو أَوْلى بالأخذ والاتباع.

[عون المعبود شرح سنن أبي داود(٤٢٥/٨)]

سادسًا: ما يجزئ في العقيقة

يجزئ في العقيقة الجنس الذي يجزئ في الأضحية، وهو الأنعام من إبل وبقر وغنم، ولا يجزئ غيرها، وهذا قول الجمهور.

وقال ابن حزم: ولا يجزئ في العقيقة إلا ما يقع عليه اسم شاة إما من الضأن وإما من الماعز فقط، ولا يجزئ في ذلك شيء من غير ما ذكر، لا من الإبل، ولا من البقر الإنسية ولا من غير ذلك.

[المحلى ٥٠٣/٩]

والراجح هو قول الجمهور: إجزاء الإبل والبقر أيضًا في العقيقة.

وذكر الرافعي بحثًا أنها تتأدى بالسُّبع (أي سبع بقرة)، كما في الأضحية، والله أعلم.

[الفتح: ٥٠٧/٩]

وعلى ذلك يشترط في العقيقة ما يشترط في الأضحية، وأنه يمنع فيها من العيب ما يمنع في الأضحية، ويستحب فيها من الأوصاف ما يستحب في الأضحية.

لحم العقيقة

يجوز أن يأكل منها صاحبها الذي ذبحها عن المولود، ويدخر منها ويهدى ويتصدق منها كما في الأضحية، وإن طبخ منها ودعا إخوانه فأكلوا فحسن.

قال ابن حزم: ويؤكل منها ويُهْدَى ويُتَصَدَّقُ، هذا كله مباح.

وقال ابن سيرين: اصنع بلحمها كيف شِئْتَ.

سابعًا: وقت الذبح:

ذهب الشافعية والحنابلة إلى أن وقت ذبح العقيقة يبدأ من تمام انفصال المولود، فلا تصح عقيقة قبله، بل تكون ذبيحة عادية.

وذهب الحنفية والمالكية إلى أن وقت العقيقة يكون في سابع الولادة ولا يكون قبله.

[الموسوعة الفقهية ٢٧٨/٣٠]

واتفق الفقهاء على استحباب كون الذبح في اليوم السابع، قال ابن قدامة: ولا نعلم خلافًا بين القائلين بمشروعية العقيقة في استحباب ذبحها يوم السابع، والأصل فيه حديث سَمُرةَ عن النبي ﷺ أنه قال: «كل غلام رهينة بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه، ويسمى فيه ويحلق رأسه». قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، والعمل على هذا عند أهل العلم، يستحبون أن يذبح عن الغلام العقيقة يوم السابع، فإن لم يُتهيأ يوم السابع فيوم الرابع عشر، فإن لم يتهيأ، عق عنه يوم حادٍ وعشرين. [جامع الترمذي: ١١٥/٥]

وهذا موقوف على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وإن تجاوز اليوم الحادي والعشرين جاز في كل وقت لأن هذا قضاء فائت، فلم يتوقف على يوم معين. [المغني ٦١٤/٨]

وقال ابن حزم: يُذبح في اليوم السابع من الولادة، ولا يُجزئ قبل اليوم السابع أصلاً، فإن لم يذبح في اليوم السابع ذبح بعد ذلك متى أمكن.

وقال ابن حجر في حديث النبي ﷺ: «يُذْبح عنه يوم السابع» أي من يوم الولادة.

وهل يحسب يوم الولادة؟

قال ابن عبد البر: نصّ مالك على أن أول السبعة اليوم الذي يلي يوم الولادة، إلا إذا ولد قبل طلوع الفجر، وكذا نقله البُويطي عن الشافعي، ونقل الرافعي من الشافعية وجهين ورجع حُسْبان يوم الولادة. [الفتح (٥٠٩/٩)]

ثامنًا: إزالة الشك

ربما يتوهم البعض أو يشك في مشروعية العقيقة بحديث ذكره ابن الأثير: أنه سئل ﷺ عن العقيقة فقال: «لا أحب العُقُوق» قال ابن الأثير: ليس فيه توهين لأمر العقيقة ولا إسقاط لها، وإنما كره الاسم، وأحب أن يسمى بأحسن منه، كالنسيكة والذبيحة جريًا على عادته ﷺ في تغيير الاسم القبيح. [النهاية لابن الأثير ٢٧٧/٣]

والحمد لله رب العالمين



إعداد/ محمد عبد العليم الدسوقي

موافقة اعتقاد السلف لمعتقد الأنبياء في قصرهم التفويض على الكيف

من الأمور الثابتة والمقطوع بها والتي ينبغي معرفتها عن السلف الصالح والعلم بها، تضافرهم على إثبات الصفات وإدراكهم لمعانيها، وتعني عبارة إثبات السلف لصفات الله: التعرف على كل ما جاء منها في القرآن الكريم وصحيح السنة، والوقوف من ثَمَّ على معناها والعمل بمقتضاها وفهمها على ما تقتضيه قواعد اللغة وأصول الدين ومبادئ الشريعة، وذلك بالإيمان بها ونسبتها جميعًا إلى الله على النحو اللائق به من غير تكييف ولا تشبيه، وبإثباتها كلها إثباتًا بلا نفي ولا تعطيل، إعمالاً لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، إذ يفاد من قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ نفي تشبيهها بصفات الخلق باعتبار أن الكلام عن الصفات متفرع عن الكلام في الذات، ومن قوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ النهي عن نفي أي منها أو تعطيله لدلالة صحيح المنقول وصريح المعقول على أن إثباتها على النحو اللائق به، كدلالتهما على سمعه تعالى وبصره تمامًا دون ما تفرقة، لا من قِبَل العقل ولا من جهة السمع.

ففي النسق الكريم رد صريح على أصحاب التجهيل من فرق المعطلة والنفاة والمفوضة الذين أخذوا هذه الآية الكريمة وجعلوها مستندًا لهم في رد الأحاديث الصحيحة، فكلما جاءهم حديث يخالف قواعدهم وآراءهم وما وضعته خواطرهم وأفكارهم- ردوه بـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، تلبيسًا منهم وتدليسًا على من هو أعمى قلبًا منهم وتحريفًا لمعنى الآي عن مواضعه، ففهموا من أخبار الصفات ما لم يُرِدْه الله ولا رسوله، ولا فهمه أحد من أئمة الإسلام، أن إثباتها يقتضي التمثيل بها للمخلوقين! ثم استدلوا على إبطال ذلك بـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ويصنفون الكتب ويقولون: هذا أصول دين الإسلام الذي أمر الله به وجاء من عنده، ويقرءون كثيرًا من القرآن ويفوضون معناه إلى الله تعالى من غير تدبر لمراده الذي بينه الرسول ﷺ وأخبر أنه معناه الذي أراده الله، وقد ذم الله تعالى أهل الكتاب الأول على هذه الصفات الثلاث، وقص ذلك علينا من خبرهم لنعتبر وننزجر عن مثل طريقهم فقال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]، إلى أن قال: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨]، والأماني: التلاوة المجردة.

وهؤلاء الذين يتحدث عنهم هنا شارح الطحاوية الإمام ابن أبي العز من أصحاب التجهيل واللاأدرية، الذين يقولون: لا ندري معاني الصفات وينسبون طريقتهم إلى السلف، ويقول المتأولون عنها إنها هي الأسلم، ويجعلونها من المتشابه، ويحتجون لذلك خطأ بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ ويقولون: بأن هذا هو الوقف التام عند جمهور السلف... يشخص ابن القيم ماهيتهم ويكشف لنا عن حقيقة أمرهم ويلخص من خلال كلامه عنهم عور فكرهم وخطأ تصورهم فيشير إلى أن أصحاب هذا الفكر هم الذين قالوا: إن نصوص الصفات ألفاظ لا تعقل معانيها ولا يُدْرَى ما أراد الله ورسوله منها، ولكن نقرؤها ألفاظًا لا معاني لها ونعلم أن لها تأويلاً لا يعلمه إلا الله، وهي عندنا بمنزلة «كهيعص» و«حم عسق» و«المص»، فلو ورد علينا منها ما ورد، لم نعتقد فيه تمثيلاً ولا تشبيهًا ولم نعرف معناها وننكر على من تأوله ونكل علمه إلى الله تعالى، وظن هؤلاء أن هذه طريقة السلف وأنهم لم يكونوا يعرفون حقائق الأسماء والصفات، ولا يفهمون معنى قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وقوله: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا

قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الزمر: ٦٧]، وقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وأمثال ذلك من نصوص الصفات، وبنوا هذا المذهب على أصلين:

أحدهما: أن هذه النصوص من المتشابه، والثاني: أن للمتشابه تأويلاً لا يعلمه إلا الله. فنتج عن هذين الأصلين استجهال السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وسائر الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأنهم كانوا يقرءون هذه الآيات المتعلقة بالصفات ولا يعرفون معنى ذلك ولا ما أريد به، ولازم قولهم أن رسول الله ﷺ كان يتكلم بذلك ولا يعلم معناه، ثم تناقضوا أقبح تناقض فقالوا: تُجْرَى على ظواهرها وتأويلها بما يخالف هذه الظواهر باطل، ومع ذلك فلها تأويل لا يعلمه إلا الله، فكيف يثبتون لها تأويلاً ويقولون تُجْرَى على ظواهرها؟ ويقولون الظاهر منها مراد، والرب منفرد بعلم تأويلها؟ وهل من التناقض أقبح من هذا؟

وهؤلاء غلطوا في المتشابه، وفي جعل هذه النصوص من المتشابه، وفي كون المتشابه لا يعلم معناه إلا الله، فأخطأوا في المقدمات الثلاث واضطرهم إلى هذا: التخلص من تأويلات المبطلين وتحريفات المعطلين وسدوا على أنفسهم الباب، وقالوا لا نرضى بالخطأ ولا وصول لنا إلى الصواب، فتركوا التدبر المأمور به والتعقل لمعاني النصوص، وتعبدوا بالألفاظ المجردة التي أنزلت في ذلك، وظنوا أنها أنزلت للتلاوة والتعبد بها دون تعقل معانيها وتدبرها والتفكر فيها، وأولئك فضلاً عن كونهم قد جعلوها عرضة للتأويل والتحريف فإن قولهم يستلزم أن يكون الأنبياء والمرسلون لا يعلمون معاني ما أنزل الله عليهم من هذه النصوص ولا أصحابهم ولا التابعون لهم بإحسان بل يقرءون كلامًا لا يعقلون معناه.

[مختصر الصواعق المرسلة ص٦٢، ٦٣، ١٢٣]

والحق أن الأمر على خلاف ذلك، فقد انبنى منهج السلف في الصفات على الإثبات الذي لا يتأتى إلا بفهم معانيها الواردة في آيات القرآن وأحاديث السنة، «ولو كان معناها غير مفهوم لهم لما صح من سلف هذه الأمة الإثبات إذ كيف يثبتون شيئًا لا يعقلون معناه؟ غاية الأمر أنهم لم يكونوا يبحثون فيما وراء هذه الظواهر عن كنه هذه الصفات أو كيفية قيامها بذاته تعالى». [ابن تيمية السلفي: د. هراس ص٤٩]، لكون ذلك مما استأثر الله بعلمه ولكون الكلام عن الصفات- كما سيأتي- فرع عن الكلام في الذات.

ومن المحال أن يكون صلوات الله وسلامه عليه قد علم أصحابه آداب الغائط وآداب الطعام والشراب، دون أن يعلمهم ما يقولون بألسنتهم ويعتقدونه بقلوبهم في ربهم ومعبودهم الذي معرفته غاية المعارف وعبادته وحده أقرب الوسائل والوصول إليه أتم المطالب، كما أنه من المحال أن يأمر الله نبيه بتبليغ ما أنزل إليه من ربه وينزل عليه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، ثم يترك هذا الباب الذي يعد لب التوحيد ومحط نظر شريعة الإسلام وأساس العقيدة، لشموله على نوعي التوحيد الآخرين: الألوهية والربوبية، لكوننا بأسمائه الحسنى نتذلل له ونعبده على ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾، وبصفاته العلى ندرك حكمته وقدرته.

فلا يميز ما يجوز نسبته إليه وما لا يجوز مع حضه على التبليغ عنه بقوله: «ليبلغ الشاهد الغائب»، حتى نقلوا أقواله وأفعاله وأحواله وصفاته وما كان بحضرته، بل ومع قوله: «تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك». [أحمد ١٢٦/٤، وابن ماجه ٤٣، والحاكم ٩٦/١]

وقوله: «ما بعث الله من نبي إلا كان حقًا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم». [مسلم ١٨٤٤، وأحمد ١٦١/٢، ١٩١، والنسائي ١٥٣/٧، وابن ماجه ٣٩٥٦]، وقول أبي ذر: «لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علمًا».

[مجمع الزوائد ٢٦٣/٨، ٢٦٤]

وقول عمر: «قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا فذكر بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظ ونسيه من نسيه». [ذكره البخاري ٣١٩٢]

فدل على أنهم اتفقوا على معرفة ما جاء عن الله من صفات، تمامًا كما اتفقوا على الإيمان بأنها واجبة له تعالى على الوجه الذي أراده منها، ووجب تنزيهه عن مشابهة المخلوقات بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، فمن أوجب خلاف ذلك فقد خالف سبيله صلوات الله وسلامه عليه وسبيل أصحابه. [فتح الباري ٣٣٣/١٣]

ومن الأدلة على بطلان القول بتعميم التفويض- ليشتمل ما تحمله الصفات من معانٍ، وعلى أن ذلك مناقض لما كان عليه النبي وصحابته- أن من تأمل خُطَبه عليه السلام وخطبهم وجدها كفيلة ببيان الهدى والتوحيد وذكر صفات الرب جل جلاله وأصول الإيمان بالكلية، فقد كانوا يذكرون من عظمة الله وصفاته وأسمائه ما يحببه إلى خلقه، ويأمرون من طاعته

وشكره وذكره ما يحببهم إليه فينصرف السامعون وقد أحبوه وأحبهم. [زاد المعاد لابن القيم ١/١٦٦]، ومن تفسيراته صلوات الله وسلامه عليه لبعض أسمائه تعالى على النحو السابق ذكره ما جاء في قوله: «أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء». فقد فسر في قوله: «الأول والآخر»، وقوله: «الظاهر والباطن» كل اسم له سبحانه بمعناه اللائق به، ونفى عنه ما يضاده وينافيه بما يفيد تفرد الرب بالكمال المطلق والإحاطة الزمانية والمكانية المطلقة، فـ «الأول» يدل على أن كل ما سواه حادث كائن بعد أن لم يكن، ويوجب للعبد أن يلحظ فضل ربه في كل نعمة دينية أو دنيوية، إذ السبب والمسبَّب منه تعالى، و«الآخر» يدل على أنه هو الغاية والصمد الذي تصمد إليه المخلوقات بتألهها ورغبتها ورهبتها وجميع مطالبها، و«الظاهر» يدل على عظمة صفاته واضمحلال كل شيء عند عظمته من ذوات وصفات، ويدل أيضًا على علوه سبحانه، و«الباطن» يدل على اطلاعه على السرائر والضمائر والخبايا والخفايا ودقائق الأشياء، كما يدل على كمال قربه ودنوّه، ولا يتنافى «الظاهر» و«الباطن»؛ لأن الله ليس كمثله شيء في كل النعوت». [الحق الواضح في شرح كافية ابن القيم للسعدي ص١٥]، وللبيهقي عن مقاتل بن حيان قال: «بلغنا والله أعلم في قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣]، هو الأول قبل كل شيء والآخر بعد كل شيء والظاهر فوق كل شيء والباطن أقرب من كل شيء، وإنما قربه بعلمه وهو فوق عرشه». [العلو للعلي الغفار للذهبي ص١٠٢]

هكذا كان معتقد سيد الأولين والآخرين صلوات الله وسلامه عليه على ما فهمه عنه الصحابة وتابعوهم بإحسان، وهو من قبل هذا معتقد جميع الأنبياء والمرسلين الذين في شأنهم يقول ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية:

هذا ومن توحيدهم إثبات أو
صاف الكمال لربنا الرحمن

أي من توحيد الأنبياء والمرسلين وأتباعهم أن يعترفوا ويثبتوا لله كل صفة للرحمن وردت في الكتب الإلهية وثبتت في النصوص النبوية، يتعرفون معناها ويعقلونه بقلوبهم، ويتعبدون لله تعالى بعلمها واعتقادها ويعملون بما يقتضيه ذلك الوصف من الأحوال القلبية والمعارف الربانية، فأوصاف العظمة والكبرياء والمجد والجلال تملأ قلوبهم هيبة وتعظيمًا له وتقديسًا، وأوصاف الرحمة والبر والجود والكرم تملأ القلوب رغبة وطمعًا فيه وفي فضله وإحسانه وجوده وامتنانه، وأوصاف العلم والإحاطة توجب للعبد مراقبة ربه في جميع حركاته وسكناته، ومجموع الصفات المتنوعة الدالة على الجلال والجمال والإكرام تملأ القلوب محبة لله وشوقًا إليه وتوجب له التأله والتعبد إلى ربه بأقواله وأفعاله بظاهره وباطنه، بقيامه بحقه وقيامه بحقوق خلقه، وبهذه المعاني الجليلة وتحقيقها يرجى للعبد أن يدخل في قوله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة». [متفق عليه]. فإحصاؤها فهمها وعقلها والاعتراف بها والتعبد لله بها. [الحق الواضح ص١٢، ١٣].

ومما يدل على إثبات الأنبياء لما أثبته سبحانه لنفسه من صفات، ما ذكره الإمام أحمد بن حنبل في حق موسى عليه السلام، قال: «كلم الله موسى من وراء حجاب، فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فأخبر الله عز وجل أن موسى يراه في الآخرة، وقال: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، ولا يكون حجاب إلا لرؤية». [المعارج ١/٢٧٢]

وفي معنى ذلك يقول الإمام أبو الحسن الأشعري إمام المذهب في تعليقه على آية الأعراف: «ولا يجوز أن يكون موسى صلوات الله عليه وسلامه وقد ألبسه الله جلباب النبيين وعصمه بما عصم به المرسلين، قد سأل ربه ما يستحيل عليه، فإذا لم يجز ذلك على موسى ﷺ علمنا أنه لم يسأل ربه مستحيلاً وأن الرؤية جائزة على ربنا تعالى، ولو كانت الرؤية مستحيلة على ربنا تعالى كما زعمت المعتزلة ولم يعلم ذلك موسى عليه السلام وعلموه هم لكانوا على قولهم أعلم بالله من موسى، وهذا مما لا يدعيه مسلم. [الإبانة ص٤١:٤٣]

كما يدل على إثبات الأنبياء لصفات الخالق جل وعلا ما جاء عن كعب الأحبار قال: قال الله عز وجل في التوراة: «أنا الله فوق عبادي، وعرشي فوق جميع خلقي، وأنا على عرشي أدبر أمور عبادي ولا يخفى علي شيء في السماء ولا في الأرض»، وفي الإنجيل أن المسيح عليه السلام قال للحواريين: «إن كنتم غفرتم للناس فإن أباكم الذي في السماء يغفر لكم ظلمكم، انظروا إلى الطير فإنهن لا يزرعن ولا يحصدن، وأبوكم الذي في السماء هو يرزقهن». كذا أورده الإمام ابن قتيبة في مختلف الحديث. [العلو ص١٤٥]، وسيأتي دعاء داود عليه السلام قوله: «إليك رفعت رأسي يا عامر

السماء، نظر العبيد إلى أربابها يا ساكن السماء».

ويؤكد ما ذكرنا ويدل عليه أيضًا ما قصه الله تعالى عن فرعون عليه اللعنة في تكذيبه موسى عليه السلام في أن الله عز وجل العلي الأعلى خالق كل شيء وإلهه، وذلك قوله تعالى في سورة القصص: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [القصص: ٣٨]، وقوله في سورة المؤمن: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧]، ففرعون لعنه الله تعالى كذب موسى في أن رب السماوات والأرض ورب المشرق والمغرب وما بينهما هو الله الذي في السماء فوق جميع خلقه مباين لهم لا تخفى عليه منهم خافية، وقد أدى ما فهمه فرعون عن موسى من إثباته أن له إلهًا فوق السماء، لأن يروم بصرحه الذي أمر ببنائه أن يطلع إليه واتهم موسى بالكذب فيما يقول ويدعي من أن له ربًا في السماء أرسله إليه، ولو أن موسى قال إنه في كل مكان بذاته لطلبه في بيته أو في بدنه أو في حشه ولم يجهد نفسه ببنيان الصرح، لكن مخالفنا ليس يعلم أن الله فوقه بوجود ذاته ومن ثم فهو أعجز فهمًا من فرعون، وعليه فكل جهمي ناف لعلو الله عز وجل هو فرعوني وعن فرعون أخذ دينه، وكل سني يصف الله تعالى بما وصف به نفسه أنه استوى على العرش بائن من خلقه فهو موسوي محمدي متبع لرسل الله وكتبه.

[اجتماع الجيوش لابن القيم ص٦٨، ٧٥، ١٠٧]

«وبالجملة فجميع رسل الله عليهم الصلاة والسلام وجميع كتبه المنزلة وجميع أهل السماوات ومؤمني أهل الأرض من الجن والإنس اتباع رسل الله، وجميع الفطر السليمة والقلوب المستقيمة التي لم تجتلها الشياطين عن دينها، جميعها شاهدة حالاً ومقالاً أن خالقها وفاطرها ومعبودها الذي تألهه وتفزع إليه وتدعوه رغبًا ورهبًا، هو فوق كل شيء عال على جميع خلقه، استوى على عرشه بائنًا من مخلوقاته، وهو يعلم أعمالهم ويسمع أقوالهم ويرى حركاتهم وسكناتهم وجميع تقلباتهم وأحوالهم لا يخفى عليه منهم خافية، ولهذا ترى جميع المؤمنين عالمهم وعاميهم وحرهم ومملوكهم وذكرهم وأنثاهم وصغيرهم وكبيرهم كل منهم إذا دعا الله تبارك وتعالى في جلب خير أو كشف مكروه إنما يرفع يديه ويشخص ببصره إلى السماء إلى جهة العلو، إلى من يعلم سره ونجواه متوجهًا إليه بقلبه وقالبه، يعلم أن معبوده فوقه وأنه إنما يدعى من أعلى لا من أسفل كما يقول الجهمية قبحهم الله تعالى وتنزه عما يقولون علوًا كبيرًا». [معارج القبول ١/١٢٤]

وعلى العموم فإن الإثبات ورد على ألسنة جميع الأنبياء كما ورد في كافة كتبهم المنزلة وعلى ألسنة جميع أتباعهم، يقول سيد الوعاظ عبد القادر الجيلي شيخ بغداد في كتاب الغنية: «أما معرفة الصانع بالآيات والدلائل على وجه الاختصار، فهو أن يعرف ويتيقن أن الله واحد أحد» إلى أن قال: «وهو مستوٍ على العرش، محتو على الملك، محيط علمه بالأشياء: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [فاطر: ١٠]، ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان، بل يقال: إنه في السماء على العرش كما قال: ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]، وينبغي إطلاق ذلك من غير تأويل، وكونه تعالى على العرش مذكور في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل، بلا كيف.

[العلو ص١٩٣]

فعلى درب الأنبياء ودرب خاتمهم عليه وعليهم أفضل الصلوات وأزكى التسليمات سار أتباعهم، وسار الصحابة وتابعوهم من أهل القرون الفاضلة ومن تلاهم، وكان إجماع هؤلاء وأولئك على إثبات كل ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسله الكرام عليهم الصلاة من الله والسلام، من سمع ويدين وبصر واستواء وقدرة ونزول ووجه وكلام وفوقية وإرادة ورضا وغضب وعلم وحياة لا فرق بين أي منها ولا نفي، كما أجمعوا على أن معاني هذه الصفات بما فيها الصفات الخبرية من نحو اليدين والعينين والوجه والصفات الاختيارية المسماة بصفات الأفعال من نحو الاستواء والنزول إلى السماء الدنيا إلى غير ذلك من الصفات المتعلقة بمشيئته إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها، يجب العلم بها والتسليم لها على ظاهرها، وأن الذي يوكَلُ الأمر فيه إلى الله بتفويض علمه إليه هو كيفية هذه الصفات والوقوف على حقيقة كنهها لكون هذا الجانب دون ظاهر معاني الصفات هو من المتشابه الذي لا يعلم حقيقته إلا هو سبحانه.

والحمد لله رب العالمين



نتيجة مسابقة القرآن الكبرى

المركز الأول

١ ـ سامح أبو النجا محمد أبو النجا ـ المحلة الكبرى.
٢ ـ أحمد السيد محمد محمد ـ العواسجة.
٣ ـ إبراهيم السيد إبراهيم عليان ـ بني عامر.
٤ ـ السيد سويلم أحمد عيسى ـ تل مفتاح.
٥ ـ هبة إبراهيم عبد البديع صقر ـ المرج.

المركز الثاني

١ ـ عمرو السيد محمد عبد الله ـ بلبيس.
٢ ـ مصطفى محمد محمد دياب ـ سمنود .
٣ ـ أحمد محمد فريد شوقي ـ محرم بك (الإسكندرية).
٤ ـ أسامة السيد محمد محمد ـ العواسجة .
٥ ـ أحمد إبراهيم سليمان ـ الزقازيق.

المركز الثالث

١ ـ سلوى عبد الحكيم هجرس (ميت غمر).
٢ ـ سمية إبراهيم عبد البديع ـ المرج.
٣ ـ شيماء محمود أبو سلامة ـ الشين.
٤ ـ رنا حمد حمد حمدان ـ أجا.
٥ ـ مروة محمد أحمد ـ دار السلام .

المركز الرابع

١ ـ مريم خالد عمر ـ المنوفية.
٢ ـ فاطمة الزهراء حمد حمدان ـ أجا ـ دقهلية .
٣ ـ أسماء أشرف وهيب ـ بلبيس.
٤ ـ أحمد عثمان بدوي الخلفي ـ الشين.
٥ ـ أحمد لطفي عبد المنعم حسن ـ مينا القمح.

المركز الخامس

١ ـ بسمة أشرف محمد راضي ـ الملايقة.
٢ ـ عبد الرحمن إبراهيم سعدون ـ المطرية ـ القاهرة.
٣ ـ أحمد جودة السيد إسماعيل ـ صبيح.
٤ ـ شيماء محمد الخلفي ـ الشين.
٥ ـ أحمد السيد رفعت العاصي.

وسوف يكون حفل توزيع جوائز المسابقة إن شاء الله تعالى يوم الأحد ١٣ المحرم ١٤٢٧هـ الموافق ١٢ فبراير ٢٠٠٦م عقب صلاة الظهر، بالدور الثالث بالمركز العام ـ عابدين ـ القاهرة



دعوة للمشاركة
صدقة جارية.علم ينتفع به
بادر أخي المسلم وأختي المسلمة
بالمشاركة بجزء من مالك ومن الزكوات أو
الصدقات لنشر التوحيد عبر مجلة التوحيد
من خلال المشاركة في الأعمال التالية:
طباعة كتيب يوزع مع مجلة التوحيد مجانًا
تتكلف النسخة خمسة وسبعين قرشا
يطبع من كل كتيب مائة وخمسون ألف نسخة.
نشر تراث الجماعة من خلال طبع المجلة
وتجليدها بجمع أعداد السنة في مجلد واحد
وذلك لعمل كرتونة كاملة ٣٣ سنة من المجلة.
دعم مشروع المليون نسخة من مجلة التوحيد.
نسخة من المجلة لكل خطيب من خطباء
الأوقاف والأزهر تصله على عنوانه.
كما يمكنك المشاركة بدعم ذلك بعمل حوالة أو شيك
مصرفي على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة
حساب رقم ١٩١٥٩٠ باسم مجلة التوحيد
نحن بانتظاركم